مدارات ونقوش

شهرية تعنى بالتراث والأدب والتاريخ | العدد (05) السنة الأولى - يونيو 2018

تصدر عن مركز حمد بن خليفة للدراسات

زايد
في عناوين «الأهرام»
نموذج الحُكم الإنساني الخلّاق

وثيقة سقيا
عاشق من القرن العاشر
كتب نهايته بدم الغزالة

الخطوط العربية المندثرة
تراث ثقافي في الإبداع والريادة

كارستن نيبور
رحلة إلى شبه الجزيرة العربية

نجد قبل 250 سنة

وهران
فسيفساء تاريخية وحضارية تشع
في حوض «المتوسط»

40 عاماً على رحيل
صقر الرشود

القصائد المسماة
في الشعر
النبطي

جميرا..
ودلالاتها
المعرفية

خالد بن عبدالعزيز
الملك المخلص والقطب الفذ
في مدرسة آل سعود السياسية

08 الشيخ زايد في عناوين «الأهرام»
نموذج الحُكم الإنساني الخلّاق

12 خالد بن عبدالعزيز
الملك المخلص والقطب الفذ
في مدرسة آل سعود السياسية

20 الخطوط العربية المندثرة
تراث ثقافي في الإبداع والريادة

28 «تغريبة بني هلال بين الحقيقة والخيال»

32 مدينة الأسود «وهران»
فسيفساء تاريخية وحضارية تشع في حوض «المتوسط»

36 مكتبة دبي الرقمية
حاضنة التاريخ وسجلات الأمم

38 كارستن نيبور
رحلة إلى شبه الجزيرة العربية
وإلى بلاد أخرى مجاورة لها

42 وثيقة سقيا
دلالة النصوص لا تتفق مع
الجانب الأسطوري

48 فالح حنظل:
دور كبير لمؤرخي الإمارات الأوائل
في حفظ تاريخ المنطقة

54 من روائع رمستنا

58 40 عاماً على رحيل صقر الرشود

60 نجد قبل 250 سنة

64 القصائد المسماة في الشعر النبطي

66 جميرا.. ودلالاتها المعرفية

مدارات ونقوش

شهرية تعنى بالتراث والأدب والتاريخ
العدد 05 السنة الأولى . يونيو 2018

تصدر عن
مركز جمال بن حويرب للدراسات

رئيس التحرير
جمال بن حويرب

هيئة التحرير
حسين درويش
خليل البري
مريم أحمد
مروى بيطار

المدير الفني
أيمن رمسيس

الإعلانات والتوزيع والاشتراكات
+97143940309
info@jbhsc.ae

عنوان المركز
الإمارات العربية المتحدة - دبي

الموقع الإلكتروني:
www.jbhsc.ae
Twitter:Jbhscae
Instagram:Jbhscae
YouTube:Jbhscae
Facebook:Jbhsc AE

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

جمال بن حويرب
رئيس التحرير

من يكتب التاريخ وهل تاريخنا مختلق؟

يقولون: "التاريخ يكتبه المنتصرون" وهذه حقيقة لا يمكن أن نتغافل عنها، ولكن هل هذا يعني أنَّ المنتصر يكذب أو يبالغ أو يحرِّف الحقائق التاريخية لأنه انتصر وبسط قوته على الأرض؟ الجواب يحتاج إلى دراسات كثيرة لنثبت هذا الأمر؛ لأنَّ التاريخ ليس مقتصراً على الحروب والغلبة على الدول فيكتبه المنتصرون فقط، وكذلك الذين هُزِموا في هذه المعارك وفقدوا نفوذهم، أليس لديهم مؤرخون وشعراء سيخلدون الحقائق الأخرى التي يمكن أن يهملها أو يقلل منها أو يحرِّفها المنتصر إلا إذا أُبِيدوا عن بكرة أبيهم، وهذا يندر وقوعه. وأيضاً تعيش حول المنتصر والمهزوم دولٌ وشعوبٌ وقبائلُ تراقب، وبعضها يسجِّل ما يحصل من حولهم، وعلى هذا لا يصحُّ أن نقول إنَّ التاريخ محرَّفٌ أو مزيَّفٌ كله، أو كتبه المنتصرون فقط؛ فقد يكتبه المغلوب خاصَّة إذا كان المنتصر من أمَّة أُمِّيَّة لا تعرف القراءة ولا الكتابة، كما حصل مع الأنجلو ساكسون الأميين الوثنيين، عندما طردوا الرومان من بريطانيا وغرب أوروبا وكانوا متحضرين ويكتبون تاريخهم، ولا يوجد اليوم عن فترة الأنجلو ساكسون تلك إلا الذي كتبه عنهم أعداؤهم الرومان.

مما سبق يتبيَّن لنا أنَّ مقولة "التاريخ يكتبه المنتصرون" محدَّدة بجانب واحد من التاريخ، وليست على إطلاقها، بل قد يحصل العكس وقد تفسَّر بطريقة أخرى بأنَّ الغالب المنتصر هو مَن يسجِّل تاريخه ويبقي إنجازاته بعد النصر، ولا تعني كتابة التاريخ الحرفية، إنما تعني أنَّ المنتصر هو الذي يبني الحضارة ويقدِّم الإنجازات على حساب الدول الفاشلة المهزومة.

هذا، ويروِّج بعضُ شبابِ اليوم أنَّ تاريخنا الإسلامي تمَّ تحريفه وتشويهه عبر القرون، لإرضاء الخلفاء والأمراء وأهل النفوذ في العصور الماضية، وأقول لهم: لو سلَّمنا بما تقولون، فما حجَّتُكُم وأدلَّتُكُم النقلية والعقلية على ذلك؟ فسيقولون: إنَّ التاريخَ يكتبه المنتصرون كما تعلم، وسأجيبهم بما سبق أن ذكرته في أول المقال، ونسألهم ماذا بعد؟ فيقولون: لم يعتمد هؤلاء المؤرخون على القواعد العلمية الصحيحة التي تعتمدها الجامعات اليوم في أصول البحث، والجواب: إنما أخذت القواعد الحديثة من علم أوائلنا في علم الجرح والتعديل ونقل الأخبار ونقد العلم؛ فصاغوه في قوالب جديدة وبدؤوا في تحكيم التاريخ من جديد، وإنما هي بضاعتنا رُدَّت إلينا أليس كذلك؟! وإن كان الغربيون قد مرّوا بعصور الظلام، فإنَّ عالمنا العربي في ذلك الوقت كان

يُصَدِّرُ نورَ العلوم للعالم بشهادتهم. والذي علينا اليوم هو أن ندرس مناهج الأولين، ونحقِّق ما نقلوه لنا؛ لأنهم لم يكونوا مؤرخاً أو اثنين كما كان في الأمم الأخرى، بل عدداً كثيراً من المؤرخين العلماء الذين برعوا في فنون عديدة من بينها التاريخ؛ كالطبري وابن قتيبة وابن الأثير وابن كثير وغيرهم ممَّن لا يعدون ولا يحصون.

الحقيقة أيُّها الأعزَّاء أنَّ علماءَنا الكبار نقلوا تاريخنا الإسلامي بكل أمانة بالسند المتصل كما فعل الطبري في تاريخه متبرئاً من الكذب فيه متحريًّا الدقة في نقله، وقد ذكر في مقدمة هذا الكتاب العظيم معلِّماً لنا وشارحاً كيف يُنقل التاريخ ويُدوَّن فيقول: "كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادثين، غير واصل إلى مَن لم يشاهدهم، ولم يدرك زمانهم، إلا بأخبار المُخبرين، ونقل الناقلين، دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس، فما يكون في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنىً في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤتَ في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قِبَل بعض ناقليه إلينا، وإنا إنما أدَّينا ذلك على نحو ما أُدِّي إلينا". هذا هو ما صنعه علماؤنا المؤرخون المحققون، وليس علينا اليوم إلا البحث فيه، واستخدام القواعد العلمية الحديثة لتمحيصه، لا أن ننسفه ونتَّهم مؤرخينا الأوائل، رحمهم الله.

jamal@jbhsc.ae

أسئلة وردت إلى المؤرخ جمال بن حويرب من خلال حسابات التواصل الاجتماعي وقد أجاب عنها بما يلي:

السؤال الأول: ما معنى اسم الملكة «زنوبيا»؟ وهل له اشتقاق في اللغة العربية؟

أحمد - الإمارات

الجواب: لم يعرف العربُ هذا الاسم قديماً، بل هو بمثل هذا اللفظ لا يقع على قواعد لسانهم العربي، فهو لفظ أعجمي لديهم إذا بقي بتركيبه هذا، وإذا عرفنا هذه المعلومة وتأكدنا منها، فيمكننا أن نتساءل: إذا كانت «زنوبيا» امرأة عربية الأصول وزوجة لملك عربي، فلن يكون اسمها الحقيقي إذاً هو هذا الاسم، بل سنقول إنَّ المؤرخين الرومان هم من قاموا بتحريف اسمها ليناسب لغتهم في تلك الحقبة الزمنية فسموها يوليا أوريليا زنوبيا Julia Aurelia Zenobia ما فعلوا وغيَّروا اسم زوجها الملك «أذينة» من قبل، فقالوا سبتيميوس Lucius Septimius Odaenathus، ومن المعروف أنَّ الأسماء تتغيَّر إذا تُرجِمَت من لغة إلى أخرى، وكذلك لوجود مدينة «تدمر» تحت الحكم

الروماني لا بدّ أن يُطلق على ولاتها وملوكها أسماء تقارب أسماء الولاة الرومانيين الآخرين، ولهذا اختلفت طريقة لفظ اسم ملكة «تدمر» بين الرومانية التي سمتها «زنوبيا» والآرامية التي سمتها «بات زباي» أي ابنة زباي، والعربية التي يمكن أن تكون قد أسمتها «الزبّاء أو زينب» إذا صحّ قول من قال: إنّ الزبّاء هي نفسها «زنوبيا». وفي قراءتي لهذا الاشتقاق وجدت أنَّ الأقرب للحقيقة أن يكون اسمها «الزبّاء أو زينب»؛ لأنّهما اسمان معروفان عند العرب، والأخير أكثر شهرة من الأول، ولهما تفسير صحيح وهذا شرحٌ مختصرٌ لمعناهما:

-الزباء: يقول ابن منظور في معجمه العظيم «لسان العرب»:

«وداهيةٌ زبّاءُ: «شديدة، كما قالوا شَعْراءُ، ويقال للدَّاهية المُنْكَرةِ: زَبّاءُ ذاتُ وَبَر، ويقال للناقة الكثيرة الوبَر: زَبّاءُ، والزَّبّاءُ اسم المَلِكَةِ الرُّومِيَّةِ، يُمَدُّ ويُقْصَر، وهي مَلكة الجزيرةِ، تُعَدُّ مِن مُلوكِ الطَّوائف». قلتُ: نفهم من هذا الشرح أنّ العرب سمّت الملكة بهذا الاسم «الزبّاء»، إما لشدتها وقوة حكمها، أو لكثرة ولطول شعر رأسها من جمالها، لأنّه لن يصفوا المرأة إلا بهذا، ولعل أباها منحها هذا الاسم ليتفاءل بها وينتصر على أعدائه، كما هي عادة بعض العرب في تسمية أبنائهم وبناتهم، أو أنّ الزبّاء لقبٌ أطلقته العرب عليها بسبب ملكها العريض، وسيطرتها على كثير من البلاد إبّان عهدها.

-زينب: أما هذا الاسم، فهو مشهور جداً عند العرب في القديم والحديث، وعن شرح معناه، يقول ابن منظور في معجمه: «والزَّنَبُ: السِّمَنُ (السمنة) وعن ابن الأعرابي: الزَّيْنَبُ شجر حَسَنُ المَنْظَر، طَيِّبُ الرائحة، وبه سمّيت المرأة، وواحد الزَّيْنَبِ للشجر زَيْنَبة».

قلتُ: وهذا أقرب إلى قلبي من الزبّاء، لأنه اسم عربي مشهور، ولأن «زنوبيا» عربية، فأقرب الأسماء إليها «زينب»، لاحتوائه على معظم حروفها، وتكون زيادة الواو والياء والألف من قبل الرومان.

السؤال الثاني: كيف نكتب اسم قبيلة آل بوفلاسة؟

شمسة - الإمارات

الجواب: قبيلة آل بوفلاسة قبيلة عريقة من الفروع الأصيلة من قبيلة بني ياس بن عامر القبيلة الشهيرة في الجزيرة العربية، ومن آل بوفلاسة عائلة آل مكتوم الكرام حكّام إمارة «دبي»، وآل دلموك الذين كان لهم دور كبير في تجارة دبي ومنهم أحمد وابنه محمد بن دلموك، كذلك من هذه القبيلة الفارس البطل المر بن حريز وابنته الشيخة الكريمة حصة والدة الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم باني «دبي» وأيضاً من هذه القبيلة خرج شعراء كبار، ومنهم الأديب أحمد بن سلطان بن سليم الذي برع في الشعر الفصيح والشعبي وكان أديباً مؤرخاً حافظاً لعلوم اللغة وكذلك أخوه عبدالله، رحمهم الله جميعاً، وغيرهم كثيرون وقد اطلعت على بعض الكتابات القديمة ووجدت أنهم يكتبون اسم القبيلة هكذا «آل بوفلاسا» بألف آخرها، ومنهم من يكتبها بالتاء المربوطة، وهذا ما تكتب به هذه الأيام ولم نعد نرى الكتابة القديمة، وفلاسا لقب غلب على القبيلة وليس اسم والدة لهم، وهذا كثير في قبائل العرب القديمة والحديثة، ومنهم قديماً بنو هاشم واسم هاشم عمرو لأنه هشم الثريد لقومه وكانوا في مجاعة وثقيف واسمه قسي، وحديثاً هناك الشرقيون الكرام، وهم من قبيلة المساكرة، وكذلك أهل بالخيل من المناصير الكرام، وسموا بذلك بسبب امتلاكهم للخيل كما قيل، وهناك أيضاً الشحوح الكرام وهو لقب قديم لهم وأصلهم من أزد شنوءة وهكذا.

السؤال الثالث: ما معنى تمر العجوة؟ وهل هذه العجوة التي نشتريها من المدينة المنورة نفس العجوة التي ذكرها الرسول الله صلى الله عليه وسلم؟

أ.م السعودية

الجواب: العجوة تمر لذيذ من المدينة المنورة، يضرب لونه إلى السواد كما قال ابن الأثير وغيره من العلماء وهو نفسه الذي نشتريه اليوم وأكثر أهل العلم يقولون إنَّ «عجوة» رقم اثنين، وهي أصغر من رقم واحد، هي العجوة التي غرسها رسول الله بيده كما ذكره الرواة ورغَّب في أكلها من السحر والسم وجاء في الحديث : «إنَّ في عجوة العالية ترياقاً» والترياق ما يدفع به السموم، ولم يفسر أهل اللغة معنى «العجوة» ولعله معلوم لديهم فأهملوه وما احتاجوا إلى شرحه. وسأجتهد في الوصول إلى المعنى الأقرب في اشتقاقه، حيث إنَّ مادته من «عجو» أو «عجي» يدلُّ على وَهْن في شيء؛ إما حادثاً وإمّا خِلقة كما قال صاحب (مقاييس اللغة) ومنه قيل للمرضع قليلة اللبن فتؤخر الرضاعة عن طفلها وتعاجيه بشيء أي تعلله به ساعة فيصيب الطفل من ذلك الوهن، ولعلَّ أمهات المدينة كنَّ يعاجين أطفالهن بهذا التمر فسمي «عجوة» ويدل عليه أن نُقل إلينا بصيغة المصدر بفتح العين والاسم بضمها أو أنه كان يصبّر به المرء نفسه فيعاجيها إذا جاع كما تفعل الأمهات بالرضّع، وتمر «العجوة» من أفضل تمور المدينة، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أنَّ فيه قيمة غذائية كبيرة، وكان يهود المدينة يزرعونه ويحرصون عليه وقيل قدموا به من الشام، والله أعلم.

السؤال الرابع: أسمع عن النعال السبتية فما هي؟

عبدالعظيم - السودان

الجواب: النعال معروفة تُذكَّر وتؤنَّث، والسِّبت بكسر السين كل جلد مدبوغ يتخذ منه النعال ويكون بغير شعر، ويقال هو خاص بجلود البقر قال صاحب لسان العرب: قال أبو عمرو: النعال السِّبْتِيَّة هي المدبوغة بالقَرَظ (شجر يُدبغ به) وفي الحديث: أَنَّ عُبَيْد بن جُرَيْج قال لابن عمر: رأَيْتك تلبس النِّعال السِّبْتِيَّة، فقال: رأَيت النبي، صلى الله عليه وسلم، يلبس النِّعال التي ليس عليها شعر، ويتوضأُ فيها، فأَنا أُحِبُّ أَن أَلْبَسَها؛ قال: إِنما اعترض عليه، لأَنها نعال أَهل النعْمة والسَّعَةِ. قال الأَزهري: كأَنها سُمِّيَتْ سِبْتِيَّةً، لأَنَّ شعرها قد سُبِتَ عنها؛ أَي حُلِقَ وأُزِيلَ بعِلاج من الدباغ، معلوم عند دَبَّاغِيها. وقال ابن الأَعرابي: سميت النعال المدبوغة سِبْتِيَّة، لأَنها انْسَبَتَت بالدباغ؛ أَي لانَتْ.» ومنه قول عنترة بن شداد العبسي:

بَطَلٌ كأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ
يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ

هذا والجلود التي يستعملها صانع الأحذية ومصلحها، الذي يعرف قديماً بالإسكافي، تتخذ من جلود البقر والجمال والغنم والماعز، وقد تستعمل جلود الأفاعي، ومن السمك أيضاً إذا كانت كبيرة سميكة.

نستقبل أسئلتكم على البريد الرقمي info@jbhsc.ae

الشيخ زايد في عناوين «الأهرام»

نموذج الحُكم الإنساني الخلَّاق

محمد بابا

القراءة المرجعية لأرشيف أنشطة شخصية محورية كالمغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيَّب الله ثراه، حافلة وغنية، لما تتميز به هذه الشخصية الاستثنائية من سمات متعددة تركت بصمتها الفارقة على الصعيد المحلي والعربي والدولي، لكن نظرة إلى حضور هذا الرمز من زاوية إعلامية، تقدِّم ملمحاً توثيقياً خاصاً وبعداً له دلالاته المتعددة التي تقدِّم قراءة للتاريخ الإماراتي الحديث من وجهات نظر أخرى، وتسلِّط الضوء على الدور المحوري الذي لعبه القائد المؤسِّس من جهود في تشكيل الدولة الحديثة.

"مدارات ونقوش" تحاول من خلال قراءة في أرشيف صحيفة "الأهرام" المصرية، العريقة في تقاليدها الصحفية ومهنيتها، رصد حضور هذه الشخصية الاستثنائية في أخبارها وتغطياتها، حيث أفردت الصحيفة العديد من التغطيات عن زايد، تنوَّعت بين ملفات وتحقيقات وأخبار.

مسؤولية قائد

عدد صحيفة "الأهرام" الصادر بتاريخ 13 إبريل 1968 أورد خبراً منشوراً في مساحة مميزة على صفحته الثالثة، عن الخطة الخمسية التي أقرَّها الشيخ زايد، وتوجيهات سموه إلى الدوائر المختصة بتنفيذ برامجها المرسومة في آجالها الزمنية المحددة، وذلك للقضاء على كل معوقات التنمية التي حُرِم منها الشعب الإماراتي فيما مضى، مضيفاً وفق ما أوردت الصحيفة: "لقد قاسى شعبنا من الحرمان، ومسؤوليتنا هي تخليصه من التخلف وتعويضه ما فاته.."، كما جاء في التقرير على لسان الشيخ زايد، "إنَّ المال لا قيمة له إذا لم يسخَّر لخدمة الشعب، كما الحاكم الذي وضع في مكان السلطة لا قيمة له في نظر شعبه، وفي نظر الناس إذا عاش لنفسه، وسخَّر أموال البلاد لمصالحه الذاتية، وإذا كان الله قد منَّ علينا بالثروة، فأول ما التزمنا به لإرضاء الله وشكره هو أن نوجِّه هذه الثروة لإصلاح حال البلاد والعباد، وذلك عن طريق بناء مجتمع تتوافر له وسائل التعليم والصحة والمسكن والمأكل..".

وتحدث الشيخ زايد في هذا التقرير، عن مشروع اتحاد الإمارات العربية، ووصفه بالخطوة العربية العظيمة للنهوض بشعب المنطقة، وإعطائه مسؤولية الدفاع عن وطنه، كما عبَّر

هـــذا الرجـــل .. ومعـــارك
التحـــدى عـــبر ٦ ســـنوات

الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الامارات

من الصعب ان يتعرض لمثل شخصية زعيم مثل الكثير من نصف قرن في العصر الحديث ومن الصعب ان تتناول شخصية زعيم كان له الفضل الاكبر في ارساء دعائم دولة وتوطيد اركانها في فترة لا تتعدى بعمر الزمن ..

والصعب من ذلك كله هي عملية التقويم ، ان التقويمات العادية لشخصية هي المستحيلة في الشرق ، وفي المقدمة ، وفي صنع القرارات ، دون اي تحفظات ..

هكذا كانت وما زالت شخصية الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة .. ذلك الرجل الذي استطاع عندما توفرت له فرصة القيادة ان يثبت مستحيلات طريقه من القاريخ بعد ان خاض معاركه عنيفة مع الوسائط الاصعب ، حتى اليوم عليها ، وحتى انتم اول دولة انخطفت في الشرق .. وكان المقدمون على مجريات الامور يقرون ان هذه الفرقة لن تعيش اكثر عاما او عامين على الاكثر ، واثبتها سنوات قليل (المتطلعات ، دولته زايد كل التحديات حتى اعلن قيام الدولة الاتحادية كل بطولات الاتحاد .

وقد جاء هذا الاتحاد من مستلزمات عاية وأسمى غاية ، أن يهبوا .. لقد كانت مشاعر الرجل هي التي دفعت بانشاء الجيش بمثلا من بناء الانسان ، ذلك ان وجهة نظره كانت تلتقي في ضرورة أن تكون الامارات العربية المتحدة في أقل والتسوده الثبات المصري على أرض هذا الجيش عليها المتطلع ، وهناك الكثير مهما من الكثير الاساسي جدد .. انسان المتحدي يؤمن بذاته وبقدرته ومعرفة أرضه ، ووجوده بمصيره .

وبالمثل مستشري الرجل ، هي الدائم للحرية المطلقة مع شعبه واحبه ، والاستطاع بجهوده الموارد الاضعف ، حتى اليس عليها ، وحتى انتم اول دولة انخطفت في التاريخ .. وكان ذلك دولة اتحادية في تاريخ المنطقة ، التي كانت تعيش في ظل الكيانات والتبرق والتخلف ، واستطاع ان يبدأ مسيرة مجهودة بالتعاون ، وسط ظروف صعبة ، وفي كثير من الاحيان ، وهذه هذه ..

الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الامارات

زايد

إلى آفاق بعيدة، متحدياً نمط البداوة، ومنطلقاً في بناء الدولة الحديثة التي لا تلغي ماضيها، وتحت عنوان "أبوظبي ترسي بناء الدولة الحديثة" تحدَّث تقرير في العدد المؤرخ بتاريخ 27 نوفمبر 1971 عن جهود زايد في تأسيس الخدمات التي تعكس بوضوح حرصه على توفير العيش الكريم لشعبه، من خلال نظرة من الداخل، ترصد صورة عن المجتمع الجديد وتجاوزه لأسوار العزلة بفضل حنكة زايد.

كما أورد عدد الصحيفة بتاريخ 26 نوفمبر 1972 تقريراً عن خطاب لزايد بعد عام من قيام الاتحاد، منوهاً بالدور الكبير الذي حققته دولة الإمارات العربية المتحدة، وجهود زايد في البناء الاقتصادي والاجتماعي الذي تشهده الدولة الفتية، وسعيه لتدعيم أسسها.

سباق الزمن

كما خصَّصت "الأهرام" مراسلات مفصَّلة عن تغيُّر الأوضاع في الإمارات العربية المتحدة، من خلال تسليط الضوء على مشروعات التنمية في الدولة الفتية، ونقلت صورة عن التحديث الذي لامس مختلف مناحي الحياة والقطاعات، من تعليم وصحة واستثمار في الموارد لصالح رفاهية الناس، هذا فضلاً عن السياسة الخارجية المسؤولة

> **منهج زايد القيادي يتسم بالفرادة ومواقفه العربية سبَّاقة وتعبِّر عن روح التضامن**

زايد عن تأييده لقادة المعركة العربية في جبهات القتال، بكل ما يمكن من إمكانيات بشرية ومادية.

مشروع الاتحاد

وأفردت الصحيفة في عددها الصادر بتاريخ 1 مايو 1970، وفي الصفحة 10 تقريراً من مندوبها في أبوظبي، تمحور حول حديث مهم لزايد أبرز فيه إيمانه القوي بضرورة قيام الدولة الاتحادية، وجاء عنوان التقرير: "حديث هام لحاكم أبوظبي: إننا نؤمن بأنَّ قيام الدولة الاتحادية في الخليج أمر تفرضه مصلحة المنطقة"، وفي عدد "الأهرام" الصادر بتاريخ 3 ديسمبر 1971، تناول تقرير آخر موسع جهود الشيخ زايد في قيام الاتحاد، وإرساء دعائمه، حيث كان ثمرة جهد شاق من أجل دعم الاستقلال وحماية المصالح، حيث كتب زايد صفحة جديدة في تاريخ المنطقة، كما وصفت الصحيفة، وجاء عنوان "الأهرام": "دولة جديدة في الخليج العربي"، مع عنوان شارح "إعلان إقامة اتحاد الإمارات العربية ثمرة جهد شاق من أجل دعم الاستقلال وحماية المصالح العربية"، وقدمت الصحيفة تفصيلاً موسعاً عن مسار المداولات التي خاضها الشيخ زايد في سبيل المشروع، وانتهت بإذاعة قيام الاتحاد من دبي.

آفاق جديدة

وأعطت صحيفة الأهرام المصرية مساحات واسعة من تغطياتها العديدة لقراءات تناولت التجربة الاتحادية في الإمارات، حيث وصفت في عددها الصادر بتاريخ 4 ديسمبر 1972 التجربة الاتحادية بعد عام من قيام دولة الإمارات بالخطوة الجبَّارة، كما وصفت زايد بالقائد الفذ الذي انطلق بشعبه

كيف تواجه التحديات الكبرى بدولة الاتحاد ؟
زايد : لن تعود عقارب الساعة الى الوراء

والمتوازنة ومواقفها التاريخية بخصوص القضايا العربية.

وتحت عنوان "هذا الرجل.. ومعارك التحدي عبر 6 سنوات" بيَّنت الصحيفة في عددها المنشور بتاريخ 4 ديسمبر 1977 أنَّ الشيخ زايد يكتب صفحة جديدة من التاريخ في المنطقة في سباق الزمن، كما أعطى لدولته كلَّ مقومات الانطلاق.

منهج الحكم الخلّاق

وتحت عنوان "زايد: لن تعود عقارب الساعة إلى الوراء"، أوردت "الأهرام" في عددها الصادر بتاريخ 6 أغسطس 1978 تقريراً بلغة أدبية شائقة، تناول الجوانب الإنسانية في شخصية زايد، من خلال رصد علاقته بالناس وقربه من التعاطي معهم، ووصفت "الأهرام" في هذا التقرير منهج زايد في الحكم بالمنهج الإنساني الخلَّاق، وقدمت نماذج لذلك من خلال جلساته على الرمال مع البدو وحديثة العفوي والبسيط بلهجتهم وتعاطيه وتشاوره معهم في أمورهم، وقدَّم التقرير نظرة إلى واقع الإمارات عن قرب، وكيف كانت، والمسار الذي أصبحت عليه، وجاء في التقرير "من كان يصدق أنه في أول مؤتمر قمَّة للدول العربية والإفريقية سيشهد العالم العربي عن طريق الأقمار الصناعية مراسم ومشاهد هذا المؤتمر التاريخي بواسطة دولة الإمارات العربية المتحدة"، ووصفت الصحيفة ذلك بالعمل المبدع، وأضافت: "من كان يصدِّق أنَّ هذه الدولة التي كانت قبل عشر سنوات، لا تعرف صحافة ولا طباعة ولا إعلاماً ولا برامج إذاعية أو تلفزيونية تصبح في مقدمة الدول العربية التي تتزاحم فيها دور الصحافة الوطنية ومحطات الإذاعة والتلفزيون والأقمار الصناعية..".

حضور دبلوماسي

هذا فضلاً عن ملفات عديدة تناولت زيارات الشيخ زايد ولقاءاته مع القادة العرب، وحضوره الدبلوماسي على الصعيد الإقليمي والدولي، ففي عددها الصادر بتاريخ 16 إبريل 1971، وتحت عنوان "اتصالات واسعة لحاكم أبوظبي في القاهرة" ركز هذا التقرير الصحفي على اجتماعات الشيخ زايد ببعض القادة العرب، من ضمنهم الرئيس السوداني جعفر النميري، والزعيم الفلسطيني ياسر عرفات، رئيس وفد المقاومة الفلسطينية آنذاك، كما تتبع عدد "الأهرام" الصادر بتاريخ 20 فبراير 1972 تقريراً من مندوبها في أبوظبي عن زيارة المغفور له الشيخ زايد بن سلطان لمجموعة من الدول الشقيقة ودوره الدبلوماسي في المنطقة، ودوره أيضاً في تدعيم أسس التعاون العربي والدولي.

جسور التعاون والإخاء

وفي عدد الصحيفة الصادر بتاريخ 6 أغسطس 1979 وفي الصفحة 10، حمل تقرير موسع أخبار بناء مدينة زايد في العين، وجاء تحت عنوان "مدينة زايد وآمال المستقبل"، وجاء في التقرير الإشراف والاهتمام الكبير

الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الامارات العربية يفتتح مدينة زايد بالاسماعيلية
بكل الوفاء والتقدير استقبل شعب الاسماعيلية العاهل العربى الكبير
٩٠٠٠ مسكن بمرافقها تضمها مدينة زايد على مشارف الاسماعيلية

تقارير تنوَّعت بين تحقيقات وأخبار سلَّطت الضوء على جهوده في بناء الدولة الحديثة

أفردت الصحيفة تغطيات لدور زايد في قيام الاتحاد والآفاق الجديدة التي صنعها لشعبه

لزايد بهذا المشروع، حيث اختار موقع المدينة بنفسه، على أساس أن هذا الموقع يربط بين أبوظبي والساحل ومسقط، ليكون نقطة تشكل مركز لقاء وتجمعاً لسكان المنطقة، وتحقق مزيداً من الترابط بين الإمارات والبلدان الشقيقة، ووصفت الصحيفة هذا الخيار بالنموذجي، لربط الإخوة في الجغرافيا المشتركة، كما وصفت مشروع مدينة زايد بالعلامة البارزة على طريق المودة والتعاون في منطقة الخليج.

كما أورد العدد الصادر بتاريخ 28 أكتوبر 1976، تغطية شاملة لافتتاح المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، مدينة زايد بمحافظة الإسماعيلية في مصر، وبيَّنت الاستقبال المملوء بالوفاء والعرفان الذي خصَّصه سكان المدينة للقائد العربي، حيث شملت هذه المدينة المتكاملة في مرافقها الحيوية، قرابة 9 آلاف مسكن، مبرزة أنَّ هذا المشروع "أنموذج لروح التضامن العربي والحب ورابطة المصير التي تجمع مقدرات الوطن العربي، وقد تجلَّى هذا الإنجاز الضخم بمساهمة سخية من الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، في البناء داخل مدن القناة الثلاث التي تعرَّضت لأبشع ألوان الدمار خلال حرب أكتوبر، وكما كان التضامن العربي أحد أدوات النصر في حرب أكتوبر، فإنه أيضاً أحد أدوات النصر في معركة التعمير". هكذا كتبت "الأهرام"، وأضافت الصحيفة: "عندما بدأت جهود السلام والتعمير كانت دولة الإمارات العربية المتحدة في طليعة من تقدموا للمعاونة والتعبير عن تضامنهم..".

ولنا أن نقف من خلال هذه القراءة بين سطور أرشيف هذه الصحيفة العريقة على ملامح تظهر الحضور المميز للشيخ زايد على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي، وكيف كان ينظر العرب من خلال رؤية هذه الصحيفة الواسعة الانتشار إلى هذا القائد الذي نقل، خلال فترة وجيزة، شعبه إلى دولة

متقدمة يشار إليها بالبنان، ووظَّف كلَّ الإمكانات لتدعيم أسس دولته، التي ملأت الأسماع من خلال دبلوماسيتها المرنة وحضورها الدولي، وجهودها في تعزيز التضامن العربي وإرساء السلام العالمي، ولم يكن ذلك ليتحقق لولا جهود المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه، وجهود إخوانه المؤسسين لاتحاد الإمارات العربية المتحدة.

يشار إلى أنَّ صحيفة الأهرام صحيفة مصرية تأسَّست سنة 1875، وتحظى بسمعة كبيرة في الأوساط الصحفية المهنية، ولها تقاليدها العريقة في الكتابة والتغطية الصحفية، كما شكلت مدرسة من خلال خطها التحريري الذي أرسته أجيال من المفكرين المتمرِّسين في مجال المهنة تناوبوا على رئاسة تحريرها، مثل الشاعر خليل مطران، والمفكِّر محمد حسنين هيكل، والكاتب أحمد بهاء الدين.

خالد بن عبدالعزيز

الملك المخلص والقطب الفذ في مدرسة آل سعود السياسية

نكتب التاريخ لنتعلَّم منه الأجيال القادمة وليأخذوا منه العبر والعظات، ولم نكتبه للتسلية واللعب وتضييع الأوقات أو ليساعدنا على النوم، إنما التاريخ هو ما يبنى عليه الاقتصاد، ويوجّه السياسات العالمية، ويقوّي من ترابط المجتمع، ويستفيد أهل المعالي من تجارب السابقين ليصلوا إلى منزلتهم، ولهذا فإنَّ علمَ التاريخ علمٌ لا يقلُّ أهميَّةً عن علوم الرياضيات والهندسة والكيمياء إذا عرفنا هذه الحقيقة.

ولم يُدوَّن تاريخنا بالشكل الذي يتمنَّاه كل مؤرخ في هذا العصر الحديث، بسبب عدم انتباه الناس في القرون الماضية أهمية التدوين، وإذا دوَّنوا لم تتهيَّأ ظروف ملائمة لحفظ ما تمَّ تدوينه، بل ضاع أكثره نهب الرياح والأمطار والتنقلات، وما تبقَّى أكلته الأرضة التي نسميها «الرمة» ووالأسفي عليه، ولهذا فقد أصبح لزاماً علينا توثيق كلِّ شيء يمرُّ علينا وألا نهمله، فما ترونه غير مفيد في بعضه، ولا يحتاج إلى كتابة، فإنَّ غيركم يطير به فرحاً عندما يظفر به ليكمِّل به أبحاثه وكتاباته.

«مدارات ونقوش» تسجِّل بعض الأحداث.. تحكي قصة عَلَم كبير وملك من الملوك الخالدين الكرماء المخلصين، وكان في نفس الوقت من أهمِّ أقطاب السياسة في العالم؛ ألا وهو الملك السعودي الراحل خالد بن عبدالعزيز آل سعود، رحمه الله تعالى.

> **أثناء انشغال الملك عبدالعزيز بإخراج الحامية العثمانية من الأحساء وردته الأنباء بميلاد خالد واختار له هذا الاسم تيمُّناً وتفاؤلاً بالنصر**

تاريخ المملكة

وقبل أن نشرع في رواية سيرة الملك الراحل خالد بن عبدالعزيز، نتتبع لمحات من تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث، وأصف لكم حالة المجتمع السعودي في تلك السنين التي سبقت ولادة الملك، لكي نعرف كيف نشأ، وما العوامل التي صقلت موهبته وخبرته، لنتعرَّف إلى ذلك الزمان الماضي، وتلك الأيام الخوالي من تاريخ الرياض الطيبة.

فليس بالأمر السهل حصر تاريخ المملكة السعودية في بحث واحد، ولا حتى تاريخ الرياض؛ لأنَّ لها تاريخاً حافلاً وكبيراً جدًّا، ولكني سأكتفي بالإشارة إلى أهمِّ تاريخ في حياتها، ألا وهو يوم استعادة الملك عبدالعزيز آل سعود مدينة الرياض في الخامس عشر من يناير من عام 1902م، وهو يوم من أيام الدهر لا يمكن أن يُنْسَى؛ لأنه تمَّ فيه النصر الذي مهَّد لقيام هذه الدولة الكبيرة والحديثة التي ترونها بعد سلسلة انتصارات عجيبة كوَّنت مملكةً مترامية الأطرافِ متماسكةً قويَّةً بفضل الله، ثمَّ بفضل عزيمة الملك المؤسِّس الباني، طيَّب الله ثراه .

الميلاد الخالد

أثناء انشغال الملك عبدالعزيز بإخراج الحامية العثمانية من الأحساء في ربيع الأول من عام 1331هـ، الموافق فبراير من عام 1913م وردته الأنباء من الرياض بأنَّ قصر الحكم استقبل مولوداً جديداً، فاختار له اسم «خالد» تيمُّناً بهذا الاسم وتفاؤلاً بأنه سينتصر على أعدائه، وهذا ما حصل حقًّا؛ فقد استسلمت الحامية العثمانية، وقام بترحيل الأتراك إلى العقير ثمَّ إلى البحرين في 6 مايو من نفس العام.

عاد الملك إلى الرياض بعد انتصاره الكبير، وقد اعترفت به الدولة العثمانية والياً على نجد ومتصرفاً على الأحساء ومنحته رتبة «الباشوية» لتحتفظ بماء وجهها الذي لم يبقَ منه إلا القليل جداً بعد فقدانها أراضيها الشاسعة أرضاً بعد أخرى. رجع الملك ليهنِّئ زوجته الأميرة الجوهرة بنت مساعد بن جلوي بسلامتها، بعد أن رزقهما الله «خالد»، وقد كانت ملهمة له أثناء معاركه لاسترداد الأحساء. يروي محمد أسد النمساوي عن الملك عبدالعزيز قصة حبه للجوهرة فيقول: «كنَّا على مرأى من الهفوف، ومن الرابية التي كنت جالساً عليها، استطعت أن أرى بوضوح أسوار القلعة الحصينة التي كانت تشرف على البلدة. كان فؤادي مثقلاً بالحيرة، كنت أوازن بين فوائد هذا العمل وأخطاره، لقد شعرت بالملل وبالشوق إلى السلام والحنين إلى البيت، وعندما فكرت في البيت رأيت وجه زوجتي جوهرة ماثلاً أمام عيني.. وبدأت أفكر في بعض الأبيات التي يمكن أن أقولها لو كانت حينذاك إلى جانبي. ودون أن أشعر وجدتني منشغلاً بنظم قصيدة لها، ناسياً بالكلية أين كنت، ومبلغ الخطورة في القرار الذي كان عليَّ أن أتخذه، وحالما أصبحت القصيدة جاهزة في فكري كتبتها على ورقة ووضعتها في مظروف ختمته ناديتُ واحداً من سعاتي، وأمرتُه قائلاً: أسرع، وخذ ذَلُولَيْنِ، واركب إلى الرياض، وسلِّم هذا إلى أمِّ محمد».

وعن هذه الزوجة الكريمة والأم الحانية يقول أنطوان زيشكا في كتابه: «ابن سعود ملك الجزيرة العربية»: تزوَّج الملك عبدالعزيز كثيراً، وطلَّق كثيراً؛ لأنه منصرف إلى أمور الحرب والسياسة.. ولكن هذه الحال تغيَّرت منذ تزوَّج بفتاة من أسرته هي: الأميرة الجوهرة وهي شقيقة الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي أحد أبناء عمومته الذين شاركوه في معركة الاستيلاء على الرياض. إنَّ الكلام أو الحديث هو متعة العرب الكبرى، لا الرسم ولا النحت ولا الموسيقى، وما زال العرب، وبخاصة البدو، تسحرهم الكلمة الحلوة؛ لأنَّ لكلِّ قبيلة لهجتها، ولكن العربي الذي تتجاوز شهرته قبيلته، هو العربي الذي يتكلَّم اللغة الفصحى الصافية، لغة كبار الشعراء. كان عبدالعزيز يعرف كيف يملك قلوب سامعيه بكلماته، كان يخاطبهم بلهجاتهم، ولكن الأميرة الجوهرة جاءته بلون آخر من الكلام، كانت تقرأ تراث الشعراء المشاهير في الجاهلية والإسلام، ومتى عاد عبدالعزيز إلى قصره من معركة أو مفاوضة، حدَّثته حديثاً شائقاً ممتِعاً ترتاح إليه نفسه، وروَت له من محفوظاتها الشعرية ما يطربه ويسعده فأحبَّها حباً فوق الحبِّ وأصبحت صفيته ومستشارته المفضلة، وموضع سره، لذا كان أثرها في حياته عظيماً جدًّا، وقد ملأت مدة من حياته هي أكثر الفترات دقَّة وخطورة في حياة الملك، عنيت بها الأعوام ما بين 1324-1330هـ / 1906-1912م.»

حروب التوحيد

نشأ الملك «خالد» في كنف هذه الأسرة المتدينة الكريمة، وفي ظل هذا التفاهم المبني على المحبة والتقدير بين الوالدين، وبدأ يخطو خطواته الأولى بكل ثبات في بيت المُلْك، ووالده لا يزال في معمعة حروب توحيد المملكة،

وكان يرافق والده ومعه إخوانه الذين سبقوه، ولكن يشاء الله أن ترحل والدته الأميرة الجوهرة في سنة 1919م، بعد زواج من نوع العشق والهيام دام لمدة أربع وعشرين سنة، ليعيش الأب والابن مرحلة جديدة دون هذه الأم الفاضلة، والتي يذكر محمد أسد النمساوي عنها ما سمعه من زوجها الملك فقال: «إنها كانت حب ابن سعود الأعظم، وحتى الآن بعد مضي 13 سنة على وفاتها لا يذكرها الملك إلا وتقف الغصة في حلقه، وقد احتفظ بحبه الحقيقي لها وحدها، من دون نسائه جميعاً، وكان ينظم لها الأشعار».

كان الملك خالد في السادسة من عمره عندما رحلت عنه والدته، فاعتنى به والده ليعوضه عن حرمانه، ثمَّ أدخله مدرسة «المفيريج» وهي مدرسة أسَّسها الشيخ عبدالرحمن المفيريج، رحمه الله، في عام 1879م تقريباً مقرها مسجد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف في حي «دخنة» وهي على شكل «كتَّاب» وكانت تُعلِّم القراءة والكتابة وتُحفِّظ كتاب الله وتُدرِّس مبادئ الحساب.

ظهر نبوغ الملك خالد منذ صغره؛ فقرأ القرآن الكريم وأتمَّه قراءةً وحفظاً وهو في الحادية عشرة من عمره، وكان من زملائه في المدرسة عمّه الأمير مساعد بن عبد الرحمن، والملك فهد، والأمير سعود بن هذلول، أمير القصيم سابقاً، والأمير فهد بن فيصل بن فرحان آل سعود، أمير الرياض سابقاً.

بعد إتمامه الدراسة في الكتَّاب انتقل إلى أكبر جامعة في بلاده في تلك الأيام، يمكنه أن يتعلَّم منها، وهي جامعة أبيه الملك، التي خرَّجت كبار رجال الدولة الناشئة، وأهم مميزات هذه الجامعة هو تعلُّم تقدير الذات وتقدير الآخرين ممَّن هم أكبر منه أو من أقرانه. تقول نوال الخياط عن أسلوب الملك في تنشئته لأبنائه: «ورث أبناؤه عنه الحبَّ والاحترام المتبادل بينهم، فالكبير يعطف على الصغير، والصغير يوقِّر الكبير ويُجلَّه، وهذا نابع من تصرفاته هو شخصياً مع والده، فقد كان يوقِّره ويحترمه ويتعامل معه بأدب جمّ وتواضع شديد، فعندما يزوره والده الإمام عبدالرحمن آل سعود بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع، يقفز الملك عبدالعزيز من مكانه فيقبله ويقدمه إلى صدر المجلس (مقعد الإمام) ويجلس هو بين يديه، وكان حين يخاطب أباه يجعل لنفسه صفة المملوك، ويجلس بين يديه صامتاً ينتظر ما يأمره به».

كما كان الملك عبدالعزيز أثناء إقامته في الرياض يزور والده الإمام عبدالرحمن آل سعود كلَّ يوم، وكذا سائر أقاربه.

وبلغ من بره بوالده أنه عندما قصد الملك عبدالعزيز آل سعود المسجد الحرام يوماً وكان مريضاً جداً؛ بادر الملك وحمله على كتفيه من باب السَّلام ودخل به إلى حيث مصلاه، ولم يرَ في ذلك غضاضة عليه، بل إنه لم يشأ أن يتولَّى أحدٌ من الخدم والعبيد حمل والده عنه وهو موجود، وما ذلك إلا لأنَّه أراد أن يظفر برضاه، ثمَّ رضا الله واكتساب ثوابه في شخص والده من جهة، وليلقي على أبناء شعبه درساً عملياً في طاعة الله وبر الوالدين، فضرب لهم بذلك أحسن الأمثلة في الأخلاق الإنسانية وعلوِّ النفس.

مدرسة عبد العزيز

يقول الأستاذ أحمد الدعجاني عن هذه الفترة المهمة من حياة الملك خالد، والتي مهَّدت لكل الأعمال الكبيرة التي قام بها بعد ذلك: «إنَّ تعليم الملك خالد - يرحمه الله - ومصادر ثقافته تعود بالدرجة الأولى إلى والده الملك عبدالعزيز، فقد سعى لغرس القيم التي آمن بها في نفوس أولاده، وعلَّمهم تاريخ عائلتهم، وساعده على ذلك إخوانه من أعمام الأمير خالد؛ عبدالله بن عبدالرحمن، ومساعد بن عبدالرحمن. أمَّا عبدالله بن عبدالرحمن، وهو أسنُّ من خالد قليلاً فكان ذا اطلاع مبكر وقراءة وسماع، وكان يضرب به المثل في حدة الذكاء وحفظ الأنساب، ومعرفة التاريخ. وعني من وقت مبكر بجمع الكتب والمخطوطات، ولا تنقطع مجالسه عن أهل العلم والأدب من داخل الجزيرة وخارجها».

وأما مساعد بن عبدالرحمن فكان تربأ لخالد، ويكبر سن خالد أعواماً قليلة عن عمه مساعد، وقد نشآ معاً في بيئة واحدة، ولكنه انصرف إلى طلب العلم والقراءة على المشايخ منذ يفع، وكان أعجوبة زمانه في شدة الحفظ وحدة الذكاء ونهمه في القراءة، واتجه كأخيه عبدالله إلى جمع الكتب، غير أنه لم يهتم بالمخطوطات، ويحدثك في كل فن وفي كل علم كأنه تخصَّص فيه. ومنذ ولي خالد الملك كانت صداقته لعمِّه مساعد هي العلاقة الغالبة على هذه الروابط كلها، ولم ينقطع بينهما التواصل والود حتى لقي الملك خالد ربَّه، فكان ممَّا يردده الأمير مساعد: «كان يرحمه الله سريع الغضب لكن الرضا أسرع إلى قلبه قبل لسانه»، كما أن عمته نورة المستشارة

> **نشأ الملك خالد في كنف أسرة متدينة وكريمة فوالدته الأميرة الجوهرة بنت مساعد بن جلوي المشهود لها بالفضل**

الكبيرة للملك عبدالعزيز، إضافة إلى كبار أفراد الأسرة، كانوا مصادر الثقافة والتعليم والقدوة الحسنة للأمير خالد.

استمرَّ الملك عبدالعزيز بن سعود في معارك توحيد الدولة المترامية الأطراف، وكان ابنه خالد يكبر ويشتد عوده وهو يرى والده المؤسِّس يبني قواعد مملكته الحديثة بشكل لم يسبق له نظير من قبل، ولعلي أستطيع أن أُلخِّص قصة الملك عبدالعزيز بكلمات كتبها عنه المؤرخ خيرالدين الزركلي في كتاب القيِّم «الأعلام»، حيث يقول عنه: «عبدالعزيز بن عبدالرحمن ملك المملكة العربية السعودية الأول، ومنشئها، وأحد رجالات الدهر».

وخلال السنوات الأربعين التي قضاها الابن مع والده المؤسِّس ظهرت أمور كثيرة وأحداث جسام، وتمَّ تشييد بناء عظيم للدولة بعد أن عمَّ الأمن والأمان أرجاء المملكة.

وكان الملك خالد يتابع كلَّ أعمال والده منذ صغره شغوفاً بإنجازاته وانتصاراته.

وتقول الأستاذة نوال الخياط عن طبيعة مجالس أسرة آل سعود العلمية التي عاش فيها الملك خالد وأجداده، وأثرت في شخصيتهم جميعاً، وصقلتها واستفادوا منها كثيراً: «أسرة آل سعود أسرة علمية، وغالب مجالسها كانت تدور على هذا النهج، وكان للملك عبدالعزيز، رحمه الله، دور مهم في تربية الملك خالد وثقافته، فقد كان القصر الملكي في عهد الملك عبدالعزيز مقصد العلماء والفقهاء، فاستفاد الملك خالد من هذه المجالس، وبعد ذلك كان الملك خالد يزور العلماء في مجالسهم ويستفيد من مجالستهم، وممَّن كان يزوره الشيخ عبدالعزيز بن محمد الشثري أبو حبيب، وكان يزوره في رمضان في كل ليلة بعد التراويح».

تربية قويمة

وعن أسلوب تربية الملك عبدالعزيز، رحمه الله، لأبنائه وكيف أنشأهم على حب الدين والصدق ومعالي الأمور، تتابع الأستاذة نوال فتقول: «فالملك عبدالعزيز آل سعود له مزايا وخصائص وسجايا جعلته مربياً فاضلاً وقديراً، فقد اجتمعت فيه قوة الإيمان بربه والدعوة إليه، فقد تحدث عنه ابنه الملك فيصل قائلاً: (البيت السعودي بيت دعوة قبل أن يكون بيت ملك)، والدعوة في جوهرها تعليم، وتعاليم الدعوة يتبناها الفرد يتحمَّل معها مسؤولية نقلها إلى أمته ومسؤوليات نشرها، والجانب الروحي في الإنسان يمثل القاعدة والركيزة التي بمقتضاها يتجه الإنسان إلى عمل الخير أو الشر».

وكان الملك عبدالعزيز ينبّه على ذلك غير مرة، فها هو يقول ذات مرة: (إنْ أَعدَّ المسلمون والعرب آلةً واحدةً من آلات الحرب، أَعَدَّ لهم أعداؤهم مئات وألوفاً، ولكن قوة واحدة إذا أعدها المسلمون والعرب لا يمكن أعداؤهم أن يأتوهم بمثلها؛ هي إيمانهم بربهم، هذه القوة لا قبل لأحد بها) فهذا الإيمان والثقة بالله أحد جوانب عظمة هذه الشخصية، إلى جانب ورعه وتقواه وزهده وتقشفه وعدله.

لذا حرص الملك عبدالعزيز على تربية أولاده وتنشئتهم نشأة إسلامية صحيحة؛ لأنها الأساس الذي تقوم عليه بقية العلوم، فكان يردد على مسامعهم دوماً: (الدين والصلاة، ترى من نسي الله نساه)، وبهذا الأسلوب المتميز نشأ الأبناء وهم أكثر ارتباطاً بالله سبحانه وتعالى، كما حرص الملك عبدالعزيز آل سعود على ملازمة أبنائه لصلاة الجماعة من صغرهم، وكان الهدف من ذلك تربيتهم على التقوى والترفُّع عمَّا يغضب الله.

نشأ الملك خالد، وقد تهيأت له جميع الظروف التي تعينه على حياته العملية؛ فقد نشأ في بيت كريم وعريق، وفي أسرة عريقة في العلم والأدب والأخلاق والكرم والفروسية والشجاعة؛ فأخذها أخذ شاب مقتدر فهي في جيناته من طرف والده وأمه، رحمهما الله، ثمَّ صقلها بمواهبه التي وهبها الله له منذ صغره، فقد حفظ القرآن أو جلَّه وعمره لم يتجاوز الحادية عشرة، وهو أمر لو فكّرنا فيه قليلاً لعلمنا أنَّ أولاد الملوك والأمراء يكونون أكثر رغبة في الفروسية والرمي وممارسة الألعاب من أي شيء آخر، ولكن الله ألهمه ويسَّر له حفظ كتابه الكريم ودراسته وبقي معه طيلة حياته هادياً له ومرشداً.

فروسية

ولا شك أنَّ الفروسية وتعلّم مهارات القتال والتدرب على الشدة والحياة القاسية هي من عادة أبناء الملوك والأمراء، خاصة في تلك الأوقات الصعبة التي كانت تمرُّ بها المملكة، والأخطار تحدق بها من كلِّ مكان وتأمين هذه المساحات الشاسعة يحتاج إلى تضافر أبناء الملك المؤسِّس مع والدهم، والوقوف معه ومناصرته مثلهم مثل شيوخ القبائل وجماعاتهم، وكذلك باقي المواطنين ولكن المسؤولية تقع

أولاً على الحاكم وأبنائه، ويجب عليهم الأخذ بأسباب القوة والدخول في تدريبات قاسية حتى يقوموا بأعباء الحكم أفضل قيام وهذا ما صنعه الملك خالد.

وعن فروسيته وشجاعته يقول الأستاذ أحمد الدعجاني في كتابه القيم عن الملك خالد: «يعدُّ الملك خالد من الفرسان البارزين، وهل في ذلك من عَجَب؟! فهو سليل بيت كانت الفروسية عنوانه، والشهامة رائده، فقد نشأ على ظهور الخيل يمتطي صهواتها في ساحات القتال أسداً مُهاباً، وخاض بها غمارَ الحروب بطلاً مقداماً، وشارك مع والده المغفور له الملك عبدالعزيز منذ أن كان في الثانية عشرة من عمره في معارك عديدة، فكان الفارس المجلَّى، والقائد الذي يقود جنوده إلى النصر، والبطل الذي يسجل ببطولاته أنصع الصفحات».

بعد بلوغ الملك خالد مبلغاً يسمح له أن يُرافق والده، وقد أخذ نصيبه من التعليم، وتدرب على الرماية وكان مشهوراً بها، وصار أحد فرسان أبيه وهو في أول صباه، بدأ في الالتحاق بركب والده الملك عبدالعزيز في رحلاته وحروبه لتأمين الدولة، وأعماله في البناء والتطوير، ولم يكتفِ الأمير الشاب وهو في هذه السن المبكرة بكل ما حصل عليه، بل أحب عصمة نفسه فطلب الزواج فزوّجه والده من ابنة خال الملك عبدالعزيز وهي الأميرة لطيفة بنت أحمد السديري وكان في سن الخامسة عشرة، ولكنه لم ينجب منها، ثمَّ تزوج من بعدها الأميرة طرفة بنت عمه عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود، ولم ينجب منها أيضاً، وقد يكون ذلك لصغر سنه آنذاك؛ لأنّه تزوّج بعد ذلك من الأميرة نورة بنت تركي حفيدة الأمير عبدالله بن جلوي، وأنجبت له ولديه: الأمير بندر والأمير عبدالله.

في هذه الفترة المبكرة من حياته، شارك والده كما ذكرت في كثير من الأحداث المهمة التي هيأته لتولي المناصب العالية التي نالها بعد ذلك، يقول الأستاذ أحمد الدعجاني: «فقد شارك الأمير خالد في حصار جدة عام 1928هـ، ومعركة الدبدبة عام 1929هـ، وقد أبلى فيها جميعاً بلاءً حسناً، وتميَّز بحسن رمايته حيث اشتهر بها، وأثناء معركة السبلة جعل الملك عبدالعزيز يراقب المعركة بمنظاره، ووصل الأميرُ خالد ومعه الأمراء فسلَّم على والده، ثم استأذنه في الذهاب والمشاركة في المعركة، لكن الملك أبى وشَرَعَ في إقناعه بالبقاء إلى جانبه وذلك لصغر سِنِّه، لكن الأمير الشاب «خالداً» أصرَّ على خوض غمار المعركة؛ فامتطى صهوة جواده مُتَّجهاً إلى الخيل التي على يسار المسيرة، فنهض الملك من على كرسيه، وأخذ يصيح بأعلى صوته: يا خالد، ست أو سبع مرات، يعني ذلك أن يا أهل الخيل انتبهوا له، لصغر سِنِّه».

رجل الدولة

كما اختار الملك عبدالعزيز الأمير خالداً رئيساً للوفد السعودي عام 1934م لتمثيل بلاده في مفاوضات الصلح مع اليمن، في مدينة الطائف، وتمَّت صياغة معاهدة الطائف في ذلك الوقت والتي أدَّت إلى إقرار السلام، ورسم الحدود بين البلدين وذلك في 19 مايو 1934م.

وقد تولَّى الأمير خالد آنذاك تبادل الرسائل مع المفاوض اليمني، وحرص على أن ينفِّذ رؤية والده، وقد اشترط على المفاوض اليمني أن يتمَّ تسليم الأدارسة، وإخلاء جبال تهامة من أفراد الجيش اليمني، وإطلاق رهائن أهلها حالاً، وذلك في مراسلة رسمية أظهر فيها الأمير خالد حزمه وقوة شخصيته، في عبارات واضحة تبرز ما كان عليه الأمير من رصانة وحكمة حنكة، وأجابه الطرف اليمني بالقبول، ولم يتم الاتفاق وتوقيع المعاهدة إلا بعد تأكد الأمير من موافقة الطرف اليمني للشروط التي وضعها الملك عبدالعزيز، وقد فضّل الأمير تركي بن محمد بن ماضي، أمير نجران آنذاك، في مذكراته أحداث توقيع المعاهدة.

في سنة 1926م، وبعد ضم الملك عبدالعزيز بلاد الحجاز لمملكته عيّن ابنه فيصل ليكون نائباً عنه هناك وأميراً بعد ذلك على مكة، ولم يكن عمره يتجاوز التاسعة عشرة، ثمَّ قام بعد ذلك بتعيين ابنه خالد ليكون نائباً عن فيصل، وقد تولى بعد ذلك إمارة مكة ووزارة الداخلية نيابة عن أخيه حتى سنة 1932م، حيث أسند الملك الأب مهام الإمارة لخالد عندما سافر فيصل لبعض أعمال والده خارج السعودية، كلُّ هذا أكسب الملك خالد مهارات إدارية كبيرة ساعدته فيما يأتي من الأيام، والاعتماد على الشباب في مقتبل عمرهم خاصة من الأمراء يؤدي إلى صقل مواهبهم، وترقية معارفهم، وجعلهم أكفاء لمواجهة أعباء الحياة.

> **ظهر نبوغ الملك خالد منذ صغره فقرأ القرآن الكريم وأتمَّه قراءةً وحفظاً وهو في الحادية عشرة من عمره**

ولاية العهد

في سنة 1965 اختار الملك فيصل الملك خالد لولاية العهد وقام الملك فيصل أيضاً بتوجيه رسالة لشعبه عبر الصحف والإذاعات هذا نصها :

«من فيصل بن عبدالعزيز، ملك المملكة العربية السعودية، إلى إخواني أبناء الشعب العربي السعودي الكريم. تحية وبعد:

«فإنني أحمد الله على نعمه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه، هذا ونظراً لأنَّ ولاية العهد هي عنصر أساسي من عناصر استمرار الحكم ورسوخه، وبعد أن تمتعت البلاد بنعمة واستقرار وسارت في طريق التقدُّم والازدهار بفضل تمسكها بدينها الحنيف وشريعتها السمحاء، فإنه ليسرني أن أعلن لإخواني أبناء الشعب السعودي الكريم بأنني قد اخترت أخي الأمير خالد بن عبدالعزيز وليًّا للعهد، يحكم من بعدي بكتاب الله وسنة رسوله، وكلي ثقة بأنَّ الشعب سيكون له خير ناصر ومعين والله ولي التوفيق».

عندما وجد الملك خالد نفسه ولياً للعهد نظر في الأمانة العظيمة التي استلمها، وهو قادر عليها، فهذه مملكة ليست كباقي الممالك والدول؛ فيكفي أن تقع مكة المكرمة والمدينة المنوّرة في أراضيها، ويوجد فيها أكبر احتياطي للنفط، ويعيش فيها كثير من الناس من قبائل وأسر مختلفة، وأطرافها مترامية، وكل الأنظار موجهة إليها وإلى حكامها، ولهذا أجمع أمره أن يتقي الله في هذه الأمانة، وهو الرجل التقي، وعزم على القيام بالمهمة على أحسن وجه.

فالملك خالد منذ أول شبابه وهو يعاون أخاه الفيصل، فلما عيّنه وليًّا لعهده، زادت هذه العلاقة ترابطاً وتعاوناً في كل ما ينفع الشعب السعودي والعالم الإسلامي، ولم تكن من طبيعة الملك خالد أن يعارض في شيء إلا إذا كانت المصلحة العامة تقتضي ذلك.

مبايعته ملكاً

بعد مرور عشر سنوات على ولاية خالد للعهد، وقد أخذ بزمام القيادة بكل كفاءة وعرف مداخل الحكم ومخارجه، وفهم السياسة العالمية الجديدة، وخبر سياسة الشعب وخدمتهم، توفي الملك فيصل في الخامس والعشرين من مارس من عام 1975م؛ فأصبح رابع ملوك المملكة السعودية، وأعلن ملكاً بعد ساعة من وفاة الفيصل، واختار الملك فهد وليًّا لعهده، وتمَّ مبايعتهما من قِبَل أسرة آل سعود أولاً ثمَّ من باقي الشعب.

سار الملك خالد في الناس بسيرة أخويه من قبله ووالده رحمهم الله، وظهرت في البلاد طفرة كبيرة في الاقتصاد والأعمال وتسارعت عجلة التطوير في شتى المجالات الصناعية والتعليمية والثقافية والسياسية، بفضل الله ثمَّ بفضل صدق الملك وإخلاصه واهتمامه بشعبه.

أمَّا سياسته الخارجية فلم تتغيَّر عمَّن سبقه، بل زادها قوة في الحق وترابطاً مع المجتمع الدولي، وكان ولي عهده الملك فهد، رحمه الله، هو الذي يقوم بكثير من أعبائها، وهذا من حكمة الملك خالد، لأنَّ ولي عهده يجب أن يتعوَّد على جميع أعمال الحكم، حتى إذا حكم سهل الأمر عليه، ومن الأسئلة الجريئة التي سألها الإعلامي الكويتي أحمد الجار الله للملك خالد في إحدى المقابلات الصحفية أنه سأله عن سبب إعطاء الملك فهد صلاحيات واسعة فكان جواب الملك خالد:

«إنَّ الأجهزة العاملة في المملكة تحكمها نظم ولوائح تنفيذية تعمل بموجبها، وهذه النظم يقرها مجلس الوزراء للتصديق عليها، وقد عهدنا لولي عهدنا الأمير فهد بالإشراف على تطبيق ما تقتضي به هذه النظم التي حدَّدت صلاحيات ومهام كل جهاز من أجهزة الدولة».

ذاكرة الأدب

في يوم الثالث عشر من يونيو عام 1982م فقدت الأمة الملك الكريم الحنون الذي يحبه القاصي والداني، فصفات الملك خالد لا تخفى على أحد؛ فهو رجلٌ أجمعت القلوب على تقديره ومحبته، يقول الأمير سلطان بن عبدالعزيز: «المطالع لسيرة أخي الملك خالد يجد صفات جليلة وعديدة منها: الديانة القويمة، والتواضع الجمّ والأدب العالي، والخلق الحسن، والصدق في الحديث، والرحمة بعباد الله، والشفقة على الضعفاء، ونصرة المظلوم، وإعانة دعاة هذا الدين في كل مكان، والاهتمام بأحوال المرافقين والموظفين الخاصة، والرغبة في الوقوف على أحوال المواطنين مع القناعة وصدق التوكُّل على الله».

صورة تجمع الملك خالد مع أخيه
الملك فيصل رحمهما الله

وفي خصال الملك خالد، رحمه الله،
يقول سعيد إبراهيم العيد:

تجـلّى بـك الإيمـانُ في كلّ لحظةٍ
فقلبـك يخشـى اللـه والعيـنُ تدمعُ
صلاحـك مشـهودٌ بـه فـي عبادِهِ
رحـــيمٌ تقـــيٌّ بالمكـارم مـــولعُ
فكـم مـن فقـيرٍ قد شددت بأزرِهِ
وأعطيتـه فـوق الـذي كـان يطمعُ
وكـم مـن يتيـمٍ في الحياة مشرَّد
علـوت بـه عمّـا يكـون وأرفـعُ
وأرملـةٍ عاشـت حيـاةً كريمـةً
بظلـك تجـني الخير لا تتجزعُ
وفي النهضة الكبرى دليلٌ وممسكٌ
بـأنك بـاني العـز أب وأروعُ
بعدلك تزهو الناس بالخير غبطةً
وترفلُ في ثوب السعادة أجمعُ

ومن جميل شعر الشاعر عبدالله حامد خطيري يذكر مآثره:

حـويتَ المجـد كـنزاً أيَّ كـنزٍ
وصنـتَ الـدين والشرعَ المتينا
أضفـت إلـى التليـدِ طـريفَ مجـدٍ
فـزدت رصيـدكَ الغـالي الثمينا
وربيـت الشـبية خـير جـيلٍ
ليسـتلموا الأمانـةَ قادرينـا
يـرى الجـبلَ الأشـمَّ لـه ثبـوتٌ
تعـاظم أن يُهـزّ وأن يلينـا

وإنّ الـــدين ملتجـــأٌ أميـــنٌ
وطـــودُ اللـه يُحـيي المؤمنينـا

ويعـدد المـؤرخ الأديـب محمـد أحمـد العقيلـي بعضـاً مـن صفـات الملـك خالـد فيقـول:

الغـارسُ الحـبَّ الصميـمَ لأمـةٍ
والمغـدقُ العطِـف العميـم جنـاهُ
أغـرودةُ الإعجـاب يصـدحُ لحنهـا
ترنيمـــةُ التقديـــر فـــي دنيـاهُ
شـخصيةُ الإسـلام غـير مـدافعٍ
فـــي عصـرهِ من قـد شَأْ نظراهُ
مثـــل لإنســانية جـبلت علـى
النفـع العظيـم لشعبه وسـواهُ
قـد عـاش إلهاماً يوجـه شـعبهُ
وشـــعاع نـــبراس ينـير دجـاهُ
وإرادة شـــمّا المضـــاء طليقـــةٌ
كـــالبرق ضـــآء سـناؤه وسـناهُ
متحـملاً مجـد النضـال موشحا
بالتضحيـــات إلـى لقـى مـولاهُ
ملـك تغلغـــل حبّـــه وجلالـــهُ
فـي كـل قلـب يُسـتزاد ولاهُ

يتقدم

مركز جمال بن حويرب للدراسات

بأحر التهاني إلى المهندس عمرو طلعت بتعيينه
وزيراً للاتصالات وتكنولوجيا المعلومات
في مصر، راجين الله العلي القدير أن يوفقه
في خدمة الوطن والمواطنين

الخطوط العربيــة المندثــرة
تـــراث ثقافـي فـي الإبـداع والريـادة

زيد العبيدي
باحث مختص بالفنون الإسلامية واللغة

يعدُّ الخط العربي فنّاً رائداً أصيلاً تميزت به أمة العرب، وهو من أهم خصائصها، مع ما تميزت به من علوم وفنون ومعارف أخرى، ويعدُّ تفردها بفن الخط العربي من حيث إنتاجها له أصالة، من أغرب ما يرد في تطوُّر الفنون على مستوى الأمم والحضارات، خصوصاً أنه لم يتأثر بأي فن من الفنون الأخرى التي اطلع عليها العرب.

يقول كوستاف لوبون الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي: الفنون كلها في نشأتها قد تأثرت بفنون الأمم الأخرى (1).

لكن ما نجده في الخط العربي وأساليبه وأشكال ونسبه الذهبية، من المعلوم أنه لم يكن قد تأثر بأي فن من الفنون، بل هو الذي أثَّر في تحولات الفن في أوروبا كما صرح بذلك كثير من فناني الغرب.

لم يكتفِ الفنان العربي آنذاك أن يجعل للكتابة بعدها الوظائفي فقط، بل صار عنده فنّاً له بعده الجمالي الساحر، وكل ذلك كان بفضل الاعتناء بكتابة القرآن الكريم، فكما اعتنوا به تلاوةً وصوتاً، اعتنوا به خطّاً وكتابةً. ومن هنا بدأت رحلة تطوُّر الخط العربي.

لقد كانت الفرادة والإبداع في مضمون وشكل الحرف العربي وتوليده لخطوط عدَّة؛ لأنَّ الفنان العربي آنذاك كان قد أبدع فنَّه من خلال اسقراء واقعه بتعبيرية فيها تجريد، كان في غاية الدقة والنضوج، من خلال المحاكات، والانتماء، والرسوخ في الوعي الحضاري.

فكان الفنان يرى في الخط العربي مشروع هذه الأمة، وهي تشق طريقها نحو التفوق والريادة والأصالة.

لذلك فهو ثورة في الفنون على الصعيد العالمي، وقد سبق ثورة الفن الحديث بثمانية قرون.

لم يكتفِ الفنان العربي أن يبتكرَ خطّاً واحداً فقط، أو القليل من الخطوط، بل سنجد أنَّ الأقلام تعددت، وأنواع الخطوط قد تنوَّعت بشكل كبير ملفت للانتباه، حتى وصل عدد الخطوط في العصر العباسي إلى أكثر من ثمانين نوعاً.

ولا تزال رحلة الخط العربي في نمو واتساع حينما ظل يتعدد ويتنوع، وهذا بطبيعة الحال ترف فني لم تبلغه أيُّ أمة من الأمم (2).

البعد التاريخي للخط وتطوره وتعدد أنواعه:

هنالك نظريات عدَّة تتحدَّث عن أصل الكتابة وتطوُّرها؛ إذ يرى المستشرقون أنَّ الخط العربي هو ذو أصول سريانية عن أصول أرامية حتى وصوله إلى الأنباط، وذلك مما ترجح على ضوء النقوش التي تمَّ اكتشافها في (مدائن صالح وحران وأم جمال) (3).

لذلك قالوا إنَّ الكتابة العربية هي ما تطورت عنها الكتابة النبطية، وإنها تحمل كثيراً من مقوماتها وخصائصها في الأصوات والقواعد والمفردات (ومؤدى هذا كله أنَّ الخط العربي نشأ ونبت في شمال الجزيرة العربية، ومن المرجَّح أن تكون الكتابة النبطية، قد انتقلت إلى الكتابة العربية في القرن الخامس الميلادي) (4).

النظرية العربية

وهي ما ذهب إليه ابن خلدون أنَّ الخط العربي نشأ في اليمن، ثم انتقل إلى الحيرة في العراق ومنها إلى قريش؛ أي إنه يعود إلى الخط الحميري وهو ما أطلق عليه خط الجزم (5).

الكوفي القديم في جملة خطوط المصاحف الأولى

ولمَّا كان هذا الخطُّ أكثرَ صلابةً وقساوةً من الخط النبطي، فقد تراجعت الكتابة به وخاصة أنَّ هذا الآخر كان أكثر ليونة، والأكثر استخداماً، ومنه استفاد عرب شبه الجزيرة قبل الإسلام وبعده في تطوير كتاباتهم، ومن القساوة إلى اللين تطوَّر الخط العربي، فقد ظهر الخط الكوفي المشوب بلمسات من زوايا الجزم، مع تطوُّر كبير في رسم الحروف، مقتربين بشكل واضح من الكتابة النبطية، حيث بدأت الحروف تلين منذ صدر الإسلام، حيث كان يكتب الوحي وكذلك الرسائل بخط يميل إلى الصلابة مع شيء من اللين في بعض حروفه، وهو شبيه بالكوفي. ويمكن أن نقول: إنَّ الخط الكوفي المعروف قد تطوَّر من هذا الخط، لأنَّ معظم الحروف التي كتبت بها رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء في صدر الإسلام كانت في هذا الخط (6).

بدايات الخطوط وتعدُّدها في صدر الإسلام

في زمن الخليفه عثمان بن عفان، رضي الله عنه، حينما قام بجمع القرآن الكريم خوفاً عليه من الضياع أو التحريف بالزيادة أو النقصان، حيث كتب به نسخاً عدة من القرآن الكريم تسمَّى مصاحف الإمام أرسلها الى مناطق بعيدة فتلقفها النساخ وأجادوا نقلها وتنافسوا في كتابتها وتفننوا في خطها (7).

واتخذ نسَّاخُ كلِّ بلد طريقةً لهم في الكتابة تميَّزت باسم خاص فمن ذلك: الخط المدني والمكي والبصري والأصفهاني والعراقي والتجاويد والمصنوع والمائل والراصف والسلواطي والسحلي والقيراموز.

فالخطُّ المدني مثلاً منسوب إلى المدينة المنورة، ويسمَّى الخط المحقق أو الوراقي. وسمي بالمحقق؛ لأنَّ التسمية ترجع إلى تحقيق أجزاء حروفه، وإعطاء كلِّ حرف ما له، ولا يوجد في المحقق طمساً لعيونه، أمَّا حركاته فتُكْتَبُ بنفس القلم التي تُكْتَبُ به حروفه.

وأمَّا عراقاته فهي أقلُّ عمقاً وتقويساً من عراقات خط الثلث (والعراقات هي بطون الجيمات والصادات)، أمَّا عيون الفاء والقاف فهي مفتوحة.

أمَّا سبب تسميته بالوراقي فهي نسبة إلى الوراقين الذين كانوا يكتبون المصاحف به.

وقد ظهر لهذا الخط أنواع هي:

(المدور والمثلث والتئم).

الخط في العصر الأموي وتعدد أنواعه:

أخذ الخط في العصر الأموي ينضج ويرتقي، ويتخلى عن كثير من أنماطه وأشكاله، وقد تميَّز هذا العصر بأمور أربعة:

1. الشكل

كان الخط العربي في العصر الراشدي خالياً من الشكل، لعدم حاجة العربي إلى الظوابط الشكلية، نظراً لتمكنهم من لغتهم العربية.

لكنهم عندما اختلطوا بالأعاجم، وانتشر اللحن في ألسنتهم، قام أبو الأسود الدؤلي بوضع القواعد الأساسة للنحو العربي بتكليف من علي بن أبي طالب- رضي الله عنه.

الخط الجزم (قيل منسوب لمصحف الإمام)

ثمَّ طلب والي البصرة من أبي الأسود وضع الحركات الإعرابية؛ فوضعها سنة ٤٥هـ، واستكملت أشكالها الحالية على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي.

2 - الإعجام

كانت الحروف خالية من التنقيط، ممَّا كان يؤدي إلى اختلاف القراءات أحياناً، وللتصحيف أحياناً أخرى.

وفي خلافة عبد الملك بن مروان قام "يحيى بن يعمر" و"نصر بن عاصم" بوضع نقط لبعض الحروف العربية، بحيث أصبحت النقطة جزءاً من الحرف، وتوضيحاً له عن أمثاله.

الخط الريحاني

وقد حدث الإعجام عام 80هـ – 702م (8) .

3 - موقف الخلفاء الأمويين

عمل الخلفاء الأمويون على تقريب الخطاطين وتفضيلهم على غيرهم، فكان لكلِّ خليفة كُتَّابه الذين يثق بهم، فيضعهم على رأس الدواوين.

إنَّ الأمويين قد أولوا الكتابة عناية فائقة، وشجَّعوا على اختراع نوع من الورق عرف بالقرطاس الشامي، فكان ذلك إحدى الإيجابيات في ارتقاء فن الكتابة.

لقد تعهَّد الأمويون تنشيط الخط منذ البدء بالحفر على المرمر والفسيفساء في زخرفة المساجد، ومنها قبة الصخرة في القدس، والجامع الأموي في دمشق، وقصر الحير وقصر الجوسق وغيرها، كما قام أغنياء الناس بتزويق المصاحف وتجليدها وتزيين جدران القصور (9).

4 - ظهور خطاطين كبار

ظهر في هذه الفترة الخطاط قطبة المحرر الذي استنبط من الخطَّين الحجازي والكوفي نوعاً جديداً هو الخط الجليل، ويعتقد أنَّ قطبة المحرر هو أول من أبدع في تطوير الخطوط (10)، وهو خط ضخم المعالم كان يستعمل في الكتابة على المباني. ثمَّ اخترع خط الطومار وهو أصغر من الخط الجليل، كان خط الطومار يتراوح من 10 إلى 25 سم، ومن خط الطومار نشأ مختصر الطومار وقد أدى ذلك إلى الخط المحقق وسمي بجلي الثلث عند العثمانيين، وقد أدَّى المحقق إلى خط الأشعار، وخط الأشربة وخط السميعي، الذي أدَّى إلى الخط المدور والخط النرجسي.

واخترع قطبة أيضاً خط الثلث وخط الثلثين سنة 136 هـ.

وقد أدَّى خط الثلث إلى نشأة خط خفيف الثلث، وهو خط الرقاع أو خط التوقيع، وثقيل الثلث الذي أدَّى إلى خط

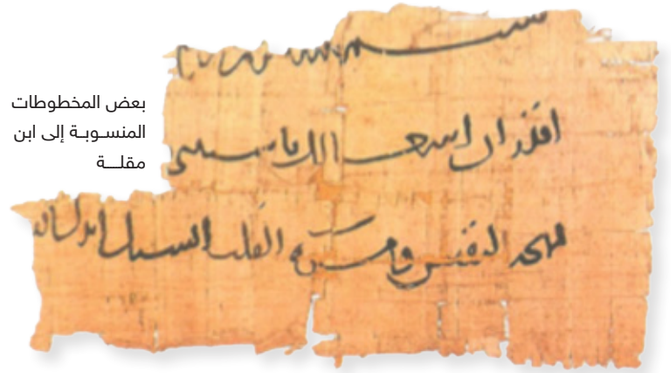

بعض المخطوطات المنسوبة إلى ابن مقلة

المفتح وخط الزنبوري وخط الحرم ومن خط الحرم نشأ خط العهود.

وأمَّا خط الثلثين فقد كانوا يكتبون به السجلات فيما يقطعه الأئمة، وقد كان يسمَّى خط السجلات، وقد أدَّى خط الثلثين إلى خط المؤامرات، وهذا أدَّى إلى الخط المنثور، والمنثور أدَّى إلى خط الديباج، والديباج بدوره أدَّى إلى خط الخرفاج (11).

وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، كان خالد بن أبي الهياج هو الخطَّاط الذي يكتب المصاحف، واشتهر بعده مالك بن دينار (توفي سنة 131 هـ - 753 م)، ثمَّ جاء بعده الرشيد البصري ومهدي الكوفي.

واشتهر في عصر ابن النديم الخطاطون شراشير المصري، وأبو محمد الأصفهاني وأبو الفرج، وابن أبي فاطمة، وابن الحضرمي، وابن حسن المليح.

الخط في العصر العباسي وثراء الأنواع:

اشتهر في أوائل العصر العباسي في العراق رجلان انتهت إليهما الرئاسة في جودة الخط وهما: الضحاك بن عجلان (وكان في خلافة أبي العباس السفاح)، وإسحاق بن حماد (وكان في خلافة المنصور والمهدي) وفي عهدهما بلغت الخطوط العربية أحد عشر نوعاً هي:

خط السجلات والجليل والديباج (نشأ من خط المنثور) واسطومار والثلاثين والزنبور (نشأ من ثقيل الثلث) والمفتح والمدمرات والعهود (نشأ من خط الحرم) والقصص والخرفاج (نشأ من خط الديباج)، وكان لكل من هذه الخطوط عمل خاص.

وعن إسحاق بن حماد تعلّم الخط لقوة الشاعر وأحمد الكلبي وهو كاتب مأمون، وعبد الله بن شداد، وصالح بن عبد الملك التميمي الخرساني، وسليم خادم جعفر بن يحيى، وثناء جارية ابن فيوما.

وفي عهد المأمون تنافس الكتَّاب كثيراً في تجويد الخط ونشأ من أنواع الخط:

الخط المرصع (نشأ من الخط الرياسي)، وخط النساخ (نشأ عنه خفيف النسخ، وهو خط الغبار). والخط الرياسي (نشأ من خط النصف)، وخط الرقاع (لكتابة المكاتبات اللطيفة والقصص)، وخط الحلية.. وكانت هذه الخطوط أكثر من عشرين نوعاً.

وقبل أن ينقضي القرن الثالث الهجري، اخترع إبراهيم الشجري من الخط الجليل (خط الثلث وخط الثلثين) وجاء هذان الخطان بشكل أفضل من الذي اخترعه قطبة المحرر، والخط الثاني أعرض من الخط الأول.

وفي نهاية القرن الثالث الهجري اخترع يوسف الشجري، وهو أخو إبراهيم الشجري، خطاً جديداً سمَّاه (الخط المدور الكبير)، وقد أخذه من خفيف خط النصف، وقد أعجب بهذا الخط (الفضل بن سهيل) وزير المأمون، وأمر ألا تُحَرَّر الكتب السلطانية في كتابه إلا به، وسمَّاه (الخط الرياسي)، ثمَّ سمَّاه الناس بعد ذلك (خط التوقيع).

وخط التوقيع كانت تُكْتَبُ به الحجج (السندات والصكوك)، وكان الوزراء يكتبون به القصص والأخبار، ثمَّ نشأ من خط التوقيع خط مسلسل التوقيع.

وعن إبراهيم الشجري تعلَّم الخطَّ (الأحول المحرر) وهو من البرامكة، وقد اخترع خط النصف، وقد نشأ عن خط النصف (الخط المدور الكبير والخط المدور والخط الرياسي).

كما اخترع الأحول المحرر (خط خفيف الثلث) وهو قلم التوقيع الذي أدَّى إلى (خط الرقاع)، كما اخترع خطًّا تتصل به الحروف ببعضها وسمَّاه (الخط المسلسل)، وقد أخذه من (الخط المدمج)، واخترع خطًّا مقطوعاً سمَّاه (الخط الحوائجي) أخذه من (خط القصص)، واخترع خطًّا لكتابة الرسائل التي يحملها الحمام الزاجل وقد سمَّاه (خط غبار الحلبة أو خط الجناح) وقد أخذه من خط الثلثين، لكنه أكثر دقَّةً منه.. ثمَّ رتَّب الخطوط وجعل لها نظاماً، إلا أنَّ خطه مع رونقه وبهجته لم يكن مهندساً، ويقال إنه كان بارعاً في بري أقلام القصب.

وكان ينافسه في عصره محمد بن معدان، المعروف بأبي ذرجان، وأحمد بن محمد بن حفص، المعروف بزاقف.

كان أبوذرجان يفوق إبراهيم الشجري في خط الجليل وخط النصف، أما زاقف فكان بارعاً في كتابة خط الثلث.

وفي هذه الفترة كان الخطاط (وجه النعجة) مقدماً في الجليل.

وفي أيام ابن طولون وزير المعتصم، كان الخليفة يعجب بخط ابن الزيات، ولا يكتب بين يديه غيره.

أما جودة الخط فقد انتهت سنة (300هـ) إلى عميد الخط في الكتابات العربية، الوزير أبي علي محمد بن مقلة (272- 328هـ 885-939م) الكاتب والأديب والخطاط والوزير في بغداد. أخذ الخط عن الأحول المحرر، وهو أول من قرَّر للخط معايير يضبط بها، فنسب جميع الحروف إلى الألف، التي اتخذها مقياساً أساسياً، وعنه انتشر الخط الرائع والجميل ذو القواعد الثابتة في مشارق الأرض ومغاربها.

ويقال إنه بلغ بالثلث وخفيفه درجة التفوق، وأحكم خط المحقق، وحرَّر خط الذهب وأتقنه، وأبدع في خط الرقاع وخط الريحان، وميَّز خط المتن، وأنشأ خط النسخ الحاضر وأدخله في دواوين الخلافة؛ فاستحسنه الناس لوضوحه وسهولة كتابته.

وقد ترك لنا ابن مقلة في الخط والقلم رسالته الهندسية، التي كانت فاتحة هندسة، وزن الحروف العربية بميزان رياضي.

تحدث عنه الزمخشري في كتابه أساس البلاغة فقال: في خطه حظٌّ لكل مقلة كأنه خط ابن مقلة.

وقال الثعالبي: خط ابن مقلة يضرب مثلاً في الحسن؛ لأنه أحسن خطوط الدنيا، وما رأى الراؤون، وما روى الراوون مثله في ارتفاعه عن الوصف، وجريه مجرى السحر.

وقال أبوحيان التوحيدي في رسالته (علم الكتابة)، ما رواه ابن الزنجي: أصلح الخطوط وأجمعها لأكثر الشروط، ما عليه أصحابنا في العراق، فقيل له: ما تقول في خط المقلة؟ قال: ذاك نبي أفرغ الخط في يده، كما أُوحِيَ إلى النحل في تسديس بيوته.

وفي القرن الخامس الهجري اشتهر في العراق رئيس الخطاطين علي بن هلال، المعروف بابن البواب والمتوفى سنة ٤١٣هـ.

وهو الذي أكمل قواعد الخط وهندسته، وهذَّب طريقة ابن مقلة، ونقَّحها وكساها طلاوة وبهجة، ثمَّ أنشأ مدرسة من الخط استمرت إلى عصر ياقوت المستعصمي، واخترع الخط المعروف بالريحاني، وقد قيل في سبب تسمية هذا الخط بالريحاني: إنها كانت بسبب تلاقي حروفه الصاعدة، ولا تُكْتَبُ حركاته بالقلم الذي كُتِبَت به حروفه، بل بقلم أرفع، وقد كُتِبَت به المصاحف قديماً واستمرَّ هذا الخط بعد المحقق زمناً طويلاً، ولكنه لم يستعمل في نطاق واسع كما استعمل الثلث، كانت تضاف ثلاث نقاط في أسفل السينات لمجرد الزخرفة، ويبدو الريحاني الدقيق للمتأمل، كالنصف الدقيق.

كما اخترع خط المحقق، وأتقن من الخطوط: خط النرجس المأخوذ من الخط السميع، وأصله الطومار، وخط المنثور وهو فرع من الرقاع والنسخ، وخط المرصع، والخط اللؤلؤي الذي أدَّى إلى خط الأشعار

بعض أشكال الخطوط القديمة

وخط الوشي، وخط الحواشي (وهو نسخ متنوع)، وخط المقترن، وخط المدمج (الذي أدَّى إلى المسلسل)، وخط المعلق، وخط القصص (الذي أدَّى إلى خط الحوائج).

وأخيراً ترك لنا ابن البواب قصيدته الرائية في إجادة التحرير وحسن الخط.

ذكر ابن خلكان، من أهل القرن السابع للهجرة، أنه لا يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين من كتب مثله ولا قاربه.

ثمَّ وصلت رئاسة الخط إلى محمد بن أسد، ومحمد السمسماني وهما من تلاميذ ابن مقلة ببغداد، وعن ابن البواب تعلَّم الخط (محمد بن عبد الملك)، و(زينب الملقبة بابنة الإبر) توفيت ببغداد عام 574هـ، و(الشيخ عماد الدين)، و(شمس الدين بن رقية)، و(شمس الدين الزفتاوي) الذي ألَّف مختصراً في خط الثلث، مع قواعد في صنعة الكتابة، وعنه أخذ أبو العباس القلقشندي، مؤلف كتاب صبح الأعشى، والشيخ زين العابدين شعبان بن محمد بن داوود الأنصاري، محتسب مصر، وقد نظم في صنعة الخط ألفية أسماها (العناية الربانية في الطريقة الشعبانية).

ثمَّ جاء (ياقوت المستعصمي) الذي فاق الأولين، وكان ذلك في آخر عهد بني العباس، أمَّا الذين ترسموا طريقة ياقوت المستعصمي بعد خراب بغداد فهم ستة:

(عبد الله الصيرفي) الذي اشتهر بخط النسخ، و(عبد الله أرغون) 742هـ، اشتهر بخط المحقق، و(يحيى الصوفي) 739هـ، واشتهر بخط الثلث، و(مبارك شاه قطب) 710هـ، واشتهر بخط التواقيع، و(مبارك شاه السيوقي) 735هـ، واشتهر بالخط الريحاني، و(الشيخ أحمد السهروردي طيب شاه) ٧٢٠هـ، واشتهر بخط الرقاع.

وهكذا بلغت أنواع الخط في العصر العباسي نحو 80 نوعاً أو تزيد، وهذا ترف فني لم تبلغه أي أمة من الأمم.

ثمَّ تلاشت تلك الخطوط الثمانون، ولم يبقَ منها سوى الأنواع التي وصلت إلينا مما خلفه مهرة الكتاب، حيث احتفظت به المتاحف (12).

هكذا كانت الخطوط بهذا الثراء وهذا التنوع، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على أنَّ هذه الأمة كانت أمة ولادة للعلوم والمعارف، خلاقة للفنون، مبتكرة ومبدعة على مستوى ونسق لم تعهده الأمم من قبل، وهذا يدعونا إلى أن نكون كما كان رجالات هذه الأمة من قبل، كانوا سباقين في صناعة أرقى ما ترقى به الأمم والأوطان، وأجلى ما تنفذ فيه نحو الريادة في شتى المجالات، ومنها ذلك الفن الأصيل.. فن الخط العربي، إذاً لا بدَّ من التجديد والابتكار والإبداع فيه، لنكمل رحلة الخط العربي نحو الكمال والجمال الذي ندهش فيه الأمم ونمتعها؛ فيكرم الإنسان ويزداد ذوقاً ووعياً نحو التقدير والفهم والفاعلية الحضارية التي دأبوا عليها من قبل.

المصادر

1 - سر تطور الأمم كوستاف لوبون.

2 - ناجي زين الدين – بدائع الخط العربي – ص 457.

3 - معروف زريق، كيف نعلم الخط العربي، الطبعة الأولى دار الفكر.

4 - سيد فرج راشد، الكتابات القديمة، مجلة عالم الفكر، العدد ٤ الكويت 1985م.

5 - ابن خلدون المقدمة ص 418 المكتبة التجارية بمصر.

6 - محمد علي أمين، عبقرية الخط العربي، مجلة الوحدة العدد 90 بيروت 1992.

7 - معروف زريق، كيف نعلم الخط العربي، الطبعة الأولى دار الفكر.

8 - عفيف بهنسي، الخطوط العربية، مجلة الثقافة العربية، العدد ١١ ليبيا 1975.

9 - معروف زريق، كيف نعلم الخط العربي، الطبعة الأولى دار الفكر.

10 - عفيف بهنسي، الخطوط العربية، مجلة الثقافة العربية، العدد ١١ ليبيا 1975.

11 - معروف زريق، كيف نعلم الخط العربي، الطبعة الأولى دار الفكر.

12 - نفس المصدر.

محمد علي لقمان رائد الصحافة المستقلة وكتابة الرواية في اليمن

بقلم: د. شهاب غانم*

يعدُّ المحامي محمد علي إبراهيم لقمان، وهو جدي لأمي، الرائد الأول للصحافة المستقلة في عدن وجنوب الجزيرة، بل في كل اليمن، كما كان أوَّل من تخرَّج في المحاماة من أبناء عدن وأول من نشر رواية في اليمن. ولد في عدن في 6 نوفمبر 1898م وتوفي أثناء أداء فريضة الحج في الديار المقدسة في 22 مارس 1966م، ودفن بمقبرة المعلاة بمكة وكان في الرحلة برفقة زوج ابنته الشاعر د. محمد عبده غانم وزوجتيهما.

وكان والده علي إبراهيم لقمان رئيس الإدارة العربية في الدولة، ويحمل لقب خان بهادر، وكان رجلاً متعلماً ومثقفاً ويجيد العربية والإنجليزية، كما كان مفتش ضرائب الدخل في المستعمرة البريطانية. وهو من ذرية القاضي العلَّامة أحمد بن ناصر عبد الحق المخلافي الهمداني من قادة الذين ثاروا على الإمام المهدي صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم في اليمن؛ إذ حوَّل الإمامة إلى أبهة الملك، فنقم عليه العلماء لسفك الدماء. وفرَّ أحمد بن ناصر لفترة إلى الهند، وعندما عاد إلى اليمن تمكَّن الإمام من القبض عليه وسجنه في سجن جزيرة صيرة، ودفن في تلك الجزيرة عام 1116 هجرية.

كان محمد علي لقمان الابن الأكبر، ومن إخوانه محمود مؤسِّس مجلة الأفكار وفيما بعد قاضي القضاة بعدن، والمؤرخ حمزة والسفير علي. ومن أبنائه الشاعر المعروف علي أول خريج في الصحافة من عدن، وعبد الرحيم (أستاذي في اللغة الإنجليزية في المدرسة المتوسطة) الذي صار فيما بعد مديراً للمعارف بعدن، وإبراهيم (أستاذي في العلوم في المدرسة المتوسطة)، والأستاذ حامد، وفضل مدير المعهد الفني ولاحقاً خبير اليونسكو، والصحفي فاروق، والمهندس شوقي، والطبيب حافظ، والمهندس ماهر. وبعض بناته الأربع خريجات.

وقد تعلَّم لقمان الأدب العربي على يد والده، ودرس القرآن والحديث والقانون المحمدي منذ سن العاشرة على يد السيد عبد الله بن حامد الصافي، والفقه على يد الشيخ عبد الله

الحضرمي، واللغة العربية على يد الشيخ عمر الزبيدي وكان كفيفاً. ثمَّ درس المرحلة الابتدائية بالمدرسة الحكومية الوحيدة في مدينة كريتر، ثمَّ انتقل إلى مدينة التواهي للالتحاق بمدرسة للرهبان للمرحلة الثانوية، وكان يقطع المسافة إلى المدرسة بين كريتر والتواهي على ظهر حمار أو مشياً على الأقدام، ثمَّ في مرحلة لاحقة على ظهر حصان، وكان أول عربي من عدن يحصل على شهادة السينير كامبردج الثانوية.

وعمل مديراً للمدرسة الثانوية الحكومية بعدن بعد حصوله على الثانوية لفترة خمسة أعوام حتى 1924، ثمَّ استقال ونشر بعدها في الهند كتيباً من 60 صفحة بالإنجليزية عن النظام التعليمي في الهند بعنوان "هل هذه قصاصة من ورق". وتعيَّش من العمل ككاتب عرض حالات ومساعدة التجار في ملء الاستمارات والتصاريح. ثمَّ عمل في شركة كلايتون غالب مسؤولاً عن قسم الواردات وتجارة الترانزيت في البن والجلود. ثمَّ افتتح دكاناً وزاول التجارة بنجاح لفترة، ولكن توفيت زوجته الأولى أم علي عام 1928، وتوفي بعد ذلك أخاه عبد المنان مدير أعماله عام 1930 بصدمة كهربائية في دكانه كما تعرَّض الدكان للسرقة فأغلقه.

ثمَّ عمل لدى شركة أنطوني بس، التي كانت أكبر الشركات التجارية في الشرق الأوسط وشرق إفريقيا مديراً لفرعها في الصومال البريطاني في بربرة وما يتبعها من فروع في الصومال الإيطالي وذلك في تجارة الأرز والسكر والصابون والمنتجات البترولية كالكيروسين، وفي الأغنام وجلودها ... إلخ بين 1930 و1935 وكان خلال تلك السنوات يلقي محاضرات ثقافية عن أهمية التعليم والتمسك بالدين ... إلخ، بل وأصدر صحيفة مخطوطة هناك بعنوان "شمسان" وهو اسم أعلى جبل في عدن، وكان يرسل نسخة مخطوطة منها لنادي الإصلاح في عدن. وفي أثناء إقامته ببربرة في الصومال كتب كتاباً بعنوان "بماذا تقدم الغربيون؟" طبع في القاهرة وأصدره والده الذي كان قد تقاعد وفتح مكتبة لبيع الكتب، وصدر الكتاب بتمهيد كتبه الأمير شكيب أرسلان الذي أوصى هو والشيخ محمد بن عقيل الحضرمي الإمام يحي بن محمد حميد الدين إمام اليمن، بتعيين محمد علي لقمان وزيراً له في صنعاء، وبالفعل كتب الإمام طالباً من لقمان الذهاب إلى صنعاء، ولكن لقمان تردد في القفز إلى المجهول، وفي نفس تلك الأيام غرق محمد ابن الإمام أمير الحديدة وهو يحاول إنقاذ شاب كان يسبح، وقد رثى أمير الشعراء أحمد شوقي ذلك الأمير.

وأسهم لقمان عام 1927 في تأسيس النادي الأدبي العربي بعدن، بتشجيع من رجل النهضة التونسي عبد العزيز الثعالبي، وكان لقمان أوَّل مدير له. ثم أنشأ نادياً للإصلاح الاجتماعي بعد ذلك بعامين بكريتر، وكان من روَّاد النادي ومن أقرب أصدقائه الشاعر الحضرمي المصري علي أحمد باكثير في الفترة 1930-1931 التي قضاها في عدن. كما أسهم لقمان في تأسيس ناد للإصلاح الاجتماعي بالشيخ عثمان الذي رأسه أحمد الأصنج. وفي التواهي أسس وترأس جدي السيد عبده غانم نادي الإصلاح العربي في 1930. وبعد عودة لقمان من بربرة عام 1935 التقى عبد الكريم فضل

العبدلي سلطان لحج في النادي الأدبي العربي بعدن، وكان السلطان عبد الكريم راعياً للنادي وأخبر لقمان عن مرض زوجته الثانية أم فضل في لحج (وكان قد تزوجها في لحج بعد وفاة أم علي) وسمح له بزيارتها بعد أن كان ممنوعاً من دخول لحج بأمر السلطان لاختلاف بينهما، ولكنه عندما وصل وجدها قد فارقت الحياة. وطلب لقمان من الثعالبي أن يساعده في الحصول من الملك غازي على عشر منح لأبناء عدن في العراق، ونجح في ذلك وأرسل ابنه عبد الرحيم ضمن العشرة. كما تمكَّن لقمان من الحصول على عشر منح لأبناء عدن من الملك فاروق في مصر.

والتقى لقمان المهاتما غاندي في عدن عام 1931، وكان غاندي في طريقه لحضور مؤتمر المائدة المستديرة في لندن لبحث استقلال الهند. ونشأت بينهما صداقة وقد ترجم لقمان خطاباً ألقاه غاندي في حفل. ونصح غاندي لقمان بدراسة القانون وإنشاء صحيفة. وبالفعل التحق لقمان بجامعة مومباي عام 1936 وتخرج في المحاماة عام 1938، وساعدته معرفته السابقة بالشريعة والقانون واجتهاده في سرعة التخرج. كما أنشأ أول صحيفة عربية مستقلة في عدن بل في اليمن بعنوان فتاة الجزيرة وصدر العدد الأول في أول يناير 1940 في بدايات الحرب العالمية الثانية، وكان هدفها نشر الثقافة العربية والنهضة والوحدة والتقدم الاقتصادي والحكم الذاتي وخير الجزيرة العربية. وقد استمرت حتى أغلقها الحكم الشمولي في نوفمبر 1967، وكان يرأس تحريرها عند إغلاقها الصحفي المعروف فاروق لقمان ابن المؤسِّس من زوجته الثالثة والأخيرة (والذي صار فيما بعد رئيساً لتحرير أراب نيوز في السعودية)؛ إذ كان لقمان قد توفي عام 1966. كما أنشأ لقمان أول صحيفة إنجليزية مستقلة في عدن واليمن عام 1953 بعنوان "أيدن كرونكل" أغلقت هي الأخرى تحت رئاسة تحرير فاروق مع "فتاة الجزيرة".

وفي عام 1939 نشر لقمان أول رواية في اليمن بعنوان "سعيد"، كما نشر رواية أخرى بعنوان "كمالا ديفي" وعدداً من كتب الرحلات والكتب السياسية، وكان أول من كتب مذكراته في اليمن في القرن العشرين في صحيفة إيدن كرونكل ونشرت عام 2009 في مجلد باللغتين. وأنشأ في 1939 "مخيم أبي الطيب" الثقافي، و"الجمعية العدنية" في 1949 كجمعية أو حزب سياسي يدافع عن حقوق أبناء عدن. وقد لعبت صحف آل لقمان دوراً كبيرا في نهضة عدن واليمن، وتجمَّع حولها أحرار الشطر الشمالي أمثال القاضي محمد محمود الزبيري، والأستاذ أحمد محمد نعمان (الذي تدرب على الصحافة في فتاة الجزيرة)، والشاعر أحمد بن محمد الشامي، والشهيد الشاعر زيد الموشكي وغيرهم. وقد كتب المؤرخ العدني سلطان ناجي كتاباً عن دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث سنة 1948 بصنعاء. وأسهم لقمان في صياغة الدستور اليمني في تلك الفترة، ويكفي أن نعرف أنه غادر في آخر طائرة غادرت صنعاء في مارس 1948 قبل سقوطها بيد الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين الذي أعدم كثيراً من الأحرار.

بعد وفاة لقمان، رحمه الله، أعيدت تسمية شارع الإسبلانيد الرئيس باسمه، ولكن عندما جاء الحكم الشمولي غيَّر الاسم إلى اسم واحد من مقاتليه، ثمَّ بعد حرب الوحدة ومحاولة الانفصال سمي شارع الصحافة، ولكن في عام 2007 أقيمت ندوة علمية عن لقمان في جامعة عدن وأعيدت تسمية الشارع من جديد باسم "محمد علي لقمان".

كاتب وشاعر من الإمارات*

سعد الحافي يتتبع سيرتها

تغريبة بني هلال بين الحقيقة والخيال

خليل البري:

استضاف مركز جمال بن حويرب للدراسات في دبي، محاضرة عن «تغريبة بني هلال بين الحقيقة والخيال»، تحدَّث خلالها الكاتب والباحث والشاعر والأديب السعودي سعد عبد الله الحافي عن التغريبة التي أصبحت مصدر إلهام لكثير من الرواة في معظم البلدان العربية، وذلك بحضور كوكبة من المثقفين والباحثين والأدباء والإعلاميين.

سعد الحافي وعن يمينه جمال بن حويرب وعبد الرحمن غانم المطيوعي

وقال جمال بن حويرب المدير التنفيذي لمؤسَّسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة، رئيس المركز، خلال تقديمه الندوة: «نتحدث اليوم عن قبيلة كانت في الجزيرة العربية، وانتقلت إلى بلاد المغرب في ظروف غامضة، وتحدَّث عنها الرواة بقصص مختلفة، في مصر وبلاد الشام والعراق واليمن وشمال إفريقيا، وإن اختلفت هذه القصص في شكلها وتفاصيلها، فإنها تُجمع كلها على أنَّ هذه القبيلة تركت أثراً كبيراً في التاريخ والثقافة والأدب العربي».

فيما تساءل المحاضر سعد الحافي، عن بني هلال الذين قال إنَّ نسبهم يعود إلى نزار بن معد بن عدنان، وهم قبائل بدوية لها تاريخ معروف، ومن الشائع لدى سكان الجزيرة العربية ارتباط كل ما هو قديم بقبيلة بني هلال، حتى إنه ما زال هناك الكثير ممن يرون أنَّ تاريخهم يرجع إلى ما قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا ما ضخَّم الجانب الأسطوري في الحديث عن بني هلال، وكأنهم أمة لم تترك شبراً في أرض الجزيرة العربية إلا وطأته أقدامهم، وكانت لهم فيه قصة! وهذا لا شك يخالف الواقع. وفي هذا المجال، يقول الشيخ العلامة حمد الجاسر، رحمه الله: إن العامة ينسبون كلَّ أثر قديم إلى بني هلال، كما كان العرب القدماء ينسبون كلَّ قديم إلى عاد. والواقع أنَّ بني هلال لم يمتازوا على غيرهم من حيث القوة والعمران، بحيث تكون لهم آثار عمرانية باقية.

كما تحدَّث المحاضر عن منازل بني هلال قبل التغريبة، مستشهداً بقول لابن خلدون: «كان بنو عامر بن صعصعة كلهم بنجد، وبنو هلال بن عامر في بسائط الطائف ما بينه وبين جبل غزوان»، ثمَّ إنَّ الأصمعي ذكر في القرن الثاني الهجري أن جُلَّ بني هلال في الحجاز، كما جاء في تاريخ الطبري. واستطرد الحافي: «في الجاهلية نجد أنَّ بني هلال اشتركوا مع قبيلتهم هوازن في حروب ومعارك في نجد والحجاز آخرها حنين». كما ذكر بداية وصولهم إلى إفريقيا، حيث كان عددهم قليلاً، لا يتجاوز ثلاثة آلاف فارس، واستمر تزايدهم حتى بلغ في السنة التالية سبعة آلاف وخمسمئة فارس، وفي أول رمضان من عام 449 هجرية دخل بنو هلال القيروان.

ووصل العرب إلى نواحي القيروان وجعل كل من سبق إلى قرية يسمي نفسه لهم ويؤمنهم ويعطيهم قلنسوته أو رقعة يكتبها لهم علامة، ليعلم غيره أنه سبقه. وبات الناس

الحافي:

- بنو هلال اشتركوا في حروب ومعارك في نجد والحجاز آخرها حنين

- من أهم مآثر بني هلال أنهم ربطوا المغرب العربي ببقية العالم العربي لغة وشعباً

بن حويرب:

سيرة بني هلال تركت أثراً كبيراً في التاريخ والثقافة والأدب العربي

نقاشات ثقافية عميقة أثارها المجلس من خلال المحاضرة

ليلتين بالقيروان تحت ما لا يعلمه إلا الله تعالى من الخوف، لا يدرون ما ينزل بساحتهم، أقام الناس يومين لا يدخل إليهم داخل ولا يخرج منهم خارج.

وخيل العرب تسرح حول القيروان في كل جهة ومكان والناس يرونهم عياناً بياناً. وخرج السلطان سابع عيد الأضحى بجنوده وخرج عامة القيروان معه، فلم يتعد بهم المصلى، ورجع العرب في أمانهم الذي أعطوا أهل البوادي، وانتهبوا جميعها، وانتقل أهلها إلى القيروان وأمر السلطان كافة الناس بانتهاب الزروع المحيطة بالقيروان وصبرة وهي المنصورية فسُرَّ المسلمون بذلك، وحسبوها من أرزاقهم وكان مصيرها إلى ما قدر الله من فسادها وأكل البهائم لها.

وفي السابع عشر لذي الحجة ظهرت خيل العرب على ثلاثة أميال من القيروان، فنزل السلطان يمشي فيها ويوصي أهلها بالاحتفاظ والبناء،

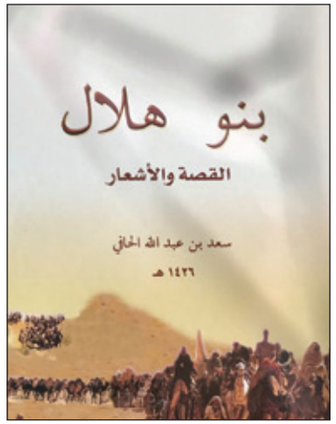

وأخذ الناس في بناء دورهم، وأمر السلطان المعز أن ينتقل عامة أهل صبرة وسوقتها إلى القيروان، ويخلوا الحوانيت كلها بصبرة، وأمر جميع من بالقيروان من الصنهاجيين وغيرهم من العسكر، أن ينتقلوا إلى صبرة، وينزلوا في حوانيتها وأسواقها، فارتج البلد لذلك، وعظم الخطب واشتد الكرب ومد العبيد ورجال صنهاجة أيديهم إلى خشب الحوانيت وسقائفها، واقتلعوها وخربت العمارة العظيمة في ساعة واحدة، وبات الناس على خوف عظيم، ثم أصبحوا، فعاينوا خيول العرب، فأمر السلطان ألا يخرج العسكر على سور صبرة. قال ابن شرف أخبرني من أثق به قال: خرجت من القيروان وسرت ليلاً فكنت أكمن النهار، فلم أمر بقرية إلا وقد سُحقت وأُكلت، أهلها عراة أمام حيطانها، من رجل وامرأة وطفل، يبكي جميعهم جوعاً وبرداً وانقطع المير عن القيروان؛ فعطلت الأسواق وأمسك العرب جميع من أسروه، فلم يطلقوا أحداً إلا بالفداء مثل أسرى الروم، وأما الضعفاء والمساكين فأمسكوهم لخدمتهم.

ولعلَّ من أهم مآثر بني هلال أنهم ربطوا المغرب العربي ببقية العالم العربي لغة وشعباً، ذلك أن العرب هناك كان عددهم قليلاً، قبل وصول الهلاليين.

معارك وأعلام

واستطرد الحافي: في الجاهلية نجد أنَّ بني هلال اشتركوا مع قبيلتهم هوازن في حروب ومعارك في نجد والحجاز، مثل يوم النباع والرقم ويوم حاجر والخنان والرحرحان وشعب جبلة وحروب الفجار وغيرها، وآخرها في يوم حنين. ومن بني هلال أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، ولبابة الكبرى أم عبدالله بن عباس، ولبابة الصغرى أم خالد بن الوليد، وكذلك منهم الشاعر والفارس حميد بن ثور الهلالي.

جمع من الشخصيات الثقافية خلال الندوة

حقيقة هجرتهم

قال المحاضر: تحفظ لنا كتب التاريخ مسيرتهم إلى شمال إفريقيا، بدءاً من أحداثهم مع الشريف شكر أبو الفتوح، زوج الجازية أخت حسن بن سرحان، الذي تولى إمارة مكة في 430 هجرية. يقول ابن خلدون «وهم متفقون على الخبر عن حال هذه الجازية والشريف خلفاً عن سلف، وجيلاً عن جيل». ثمَّ يذكر ابن فهد في «إتحاف الورى» سنة 440 هجرية «وفيها كان بمكة غلاء وبلاء»، ويستمر ذكر الغلاء والجوع حتى سنة 450 هجرية، وخلال هذه السنوات كانت هجرة بني هلال إلى شمال إفريقيا. ويقول شاعرهم:

هذي ثمان سنين ما لاح بارق
ولا مزنة غرا ولا بذار

وفي بداية وصولهم إلى إفريقيا كان عددهم قليلاً، لا يتجاوز ثلاثة آلاف فارس، واستمر تزايدهم حتى بلغ في السنة التالية سبعة آلاف وخمسمئة فارس.

الآثار الحضارية للتغريبة الهلالية

لعلَّ من أهم مآثر بني هلال أنهم ربطوا المغرب العربي ببقية العالم العربي لغة وشعباً، ذلك أن العرب هناك، كان عددهم قليلاً، قبل وصول الهلاليين، وكانوا مستقرين في الحواضر الكبرى كتونس والقيروان، وكانت اللغة الغالبة على السكان هي الأمازيغية، وجاء الهلاليون بأعدادهم الهائلة وانتشروا في جميع أصقاع المغرب العربي، وعربوا البلاد فأصبح المغرب العربي عربياً خالصاً من حيث اللغة ومن حيث كثرة السكان العرب والأمازيغ المستعربين بحيث ينتشر العرب في غالبية مناطق برقة وطرابلس وفزان ليبيا كما يشكلون جزءاً من سكان الجزائر اليوم.

تحقيق أشعارهم الموثقة في مقدمة ابن خلدون

قال الحافي: أعمل منذ عشرين عاماً على سلسلة تأصيل الأدب الشعبي في الجزيرة العربية، والذي نسعى من خلالها إلى إيجاد منطلق رئيس لا يستغني عنه الدارس والباحث في أدبنا الشعبي. ففي الإصدار الأول والمسمى (الديوان الأول للشعر الشعبي: الشعر البدوي منذ ألف سنة) حققت وصححت فيه القصائد الأولى لما عُرف بالشعر البدوي، والتي دونها ابن خلدون في مقدمته مقتصرين بذلك على ما دُوِّن فقط عند ابن خلدون.

وأضاف: نكتفي باستعراض أحد النصوص التي أوردها ابن خلدون وقمت بتحقيقها، وهو للشاعر سلطان بن مظفر بن يحيى، ويرد نسبه في داود بن مرداس بن رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان. وذكر أنه من أهل الرياسة فيهم.

مدينة الأسود «وهران»

فسيفساء تاريخية وحضارية تشع في حوض «المتوسط»

د. مريم أحمد قدوري

"وهران" الباهية، كما يلقّبها الكثيرون، مدينة جزائرية جميلة يشهد لها التاريخ بحضارتها العريقة التي امتدت منذ آلاف السنين، والتي امتزجت فيها لمسات شعوب كثيرة سكنتها وتداولت على حكمها، كان من أهمهم الإسبان والعثمانيون والفرنسيون الذين تلذَّذوا حلاوة العيش فيها عقوداً من الزمن، وخلفوا لأهلها مزيجاً ثقافيًّا متنوعاً جعلها تتربع على عرش أجمل المدن المطلة على حوض البحر الأبيض المتوسط.

إنها ليست صدفة أن أكتب عن هذه المدينة لقرَّائنا الأعزَّاء، وإنما تزامن إصدار هذا العدد مع زيارتي لها، كوني اخترتها وجهة سياحية لي بعد عيد الفطر المبارك، أعاده الله علينا وعليكم بالخير واليمن والبركات. وبعد هذا الوصف الموجز منَّا لمدينة "وهران"، ربما سيستثار لديكم بعض الفضول لتعرفوا المزيد من التفاصيل عن هذه المدينة: ماذا يعني اسمها؟ متى تأسَّست؟ وما أهم المعالم الثقافية والحضارية التي تتميَّز بها؟

شاع الكثير من التفاسير عن كلمة «وهران»، ومن أهمها أنها مثنى اللفظة العربية "وهر" التي تعني الأسد، غير أنَّ كلمة "وهر" لا تعني أسد حسب لسان العرب والصحاح في اللغة والقاموس المحيط وغيرها، إضافة إلى أنَّ أغلب المؤرخين لم يوردوا هذا التفسير، لذا فإنَّ من المرجَّح أن يكون الاسم من أصل أمازيغي، نسبة إلى وادي الهاران، أو إلى أسود الأطلس التي كانت تعيش في المنطقة، والذي ورد اسم كل منهما في التاريخ بتهجئات مختلفة.

الأساطير تحمل تفسيراً للرواية الأولى، وتقول: إنه تم اصطياد الأسود الأخيرة لهذا الساحل المتوسطي في الجبل المجاور لوهران المدعو "جبل الأسود" وأعطى للمدينة هذا الاسمَ صائدٌ للأسودِ كان اسمه سيدي معقود المهاجي، تكريماً لأسدين قام بترويضهما.

ولأنَّ الأسدين أصبحا رمزاً للمدينة، فقد تمَّ تنصيب تمثالين برونزيين كبيرين لأسدين أمام مقر البلدية، وهما اللذان يرمزان لاسمها، لتكون بذلك وهران هي "مدينة الأسود".

شدَّت "وهران" منذ القدم اهتمام الحضارات المختلفة وأطماعها، فتقلَّب حكمها بين سلالات حاكمة محلية من

بربر وعرب وأتراك عثمانيين، وبين محتلين أسبان وفرنسيين. ويعود تأسيس هذه المدينة كصرح معماري وحضاي واضح المعالم، إلى حركة التجار والملاحين الذين كانوا يأتون من بلاد المغرب العربي والأندلس في القرن العاشر الميلادي إلى الجزائر عبر خليج وهران الذي تطلُّ عليه المدينة، ثم احتلت المدينة على أيدي الأسبان قبل أن تطردهم الجيوش العثمانية منها عام 1792م، بيد أنَّ الفرنسيين أعادوا احتلال المدينة من جديد، حتى استقلال الجزائر. وبطبيعة الحال، كان لحركة التجار والسياح الأندلسيين، وكذلك للاحتلال الفرنسي والأسباني آنذاك صبغة خاصة بقيت حتى يومنا هذا في المدينة، حيث تجمع العمارة في مدينة وهران بين طرازين مختلفين؛ أحدهما حديث يعود للنمط الفرنسي، والآخر قديم يرجع للطراز الأندلسي والأسباني، وهذا ما يزيد المدينة جمالاً وعراقة عن غيرها من المدن الجزائرية، وتتشكَّل فيها فسيفساء تلمحها في نمط العمران وفي العادات والتقاليد، وحتى في اللهجة المحلية التي تجمع مزيجاً متميزاً من المفردات العربية الفصيحة والدارجة والفرنسية والأسبانية والتركية معاً. لتكون بذلك «وهران» من أحب المدن الجزائرية إلى قلوب أهلها، ومنطقة جذب سياحي داخلي وخارجي كبيرين.

أيضاً، الكثير من الكتب والمطبوعات ذكرت مدينة وهران، مثل كتاب "خاتمة أنيس الغريب والمسافر" للمؤلف مسلم بن عبد القادر الحميدي الوهراني، وكتاب "الثغر الجماني في ابتسام الثغر

الوهراني» للمؤلف أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، وقال عنها ابن خلدون: "وهران متفوقة على جميع المدن الأخرى بتجارتها وهي جنة التعساء، مَن يأتِ فقيراً إلى أسوارها يذهب غنيًّا»، وقال عنها الإدريسي: "وهران على حافة البحر، تواجه الميرية على الساحل الأندلسي ويفصلهما يومان من الإبحار. مرسى الكبير هو ميناء ليس له مثيل في كامل الساحل البربري، تقصده سفن الأندلس غالباً. وهران وافرة الثمار، سكانها هم رجال أفعال.. أقوياء وفخورون"، وقال عنها ابن خميس: "المدينتان الساحليتان اللتان أعجبتاني في المغرب العربي هما وهران خازر وجزائر بولوغين»، وقال عنها ليون الإفريقي: "وهران مدينة كبيرة تتوافر على المرافق وجميع أنواع الأشياء اللائقة بمدينة طيبة كالمدارس، الحمامات، المستشفيات والفنادق، يحيط بالمدينة سور جميل عال»، وتقول ديانا ويلي أستاذة التاريخ في جامعة بوسطن: "وهران تمثل بداية لمفهوم العولمة، ففيها ما يكفي من شواهد اختلاط الحضارات منذ العهد الوسيط» .

هكذا تحدَّث عنها الكتَّاب والمؤرخون، وقيلت فيها الكثير من القصائد، وتغنَّى بها الكثير من المطربين العالميين الذين انطلقوا منها، من روَّاد الشعر الملحون، وروَّاد أغنية الراي الوهراني، وعلى رأسهم الشاب خالد الذي يعدُّ أحد أبناء المدينة الذين أذاعوا صيتها في الساحة الغنائية العربية والعالمية، فقد غنَّى خالد أغنية «وهران» وقال في هذا

المقطع المختصر:

وهران وهران رحتي خساره
هجروا منك ناس شطارى
قعدوا في الغربة حيارى
و الغربة صعيبة و غداره
يا فرحي على أولاد الحمري
أولاد المدينة وسيدي الهواري
عديت معاهم صغري
لهم فني طول عمري

اشتهرت هذه الأغنية كثيراً، ولا تزال أيقونة للمدينة ولفنِّها، وهي تحكي قصة حسرة صاحب هذه الكلمات على شباب هاجروا إلى الغربة وتركوا مدينتهم الجميلة وراءهم، كانوا يعتقدون أنهم شطار وأذكياء وذهبوا إلى حياة اللهو والترف، تركوا الصلاة وانقادوا وراء ملذات الحياة، ونسوا أرض الآباء والأجداد، كانوا يعتقدون أنَّ حياة الغربة أفضل، لكن ما حياة الغربة إلا حيرة وحسرة وغدر وقسوة. هي أغنية أو قصيدة فيها لومٌ كثير، وتذكرة بالمدينة وأوليائها الصالحين، وفيها اعتزاز بالأحياء الجميلة وبذكرياتها، فيها وصايا وآمال للعودة لأحضانها والعيش فيها لأنها وطن لهم.

وما هذه إلى واحدة من قصائد كثيرة تغنَّت بوهران، هذه المدينة التي

صروح معمارية فريدة في وهران
بعضها يعود إلى العهدين الروماني والبيزنطي

تضمُّ العديد من المعالم الشهيرة التي تعود إلى عصور مُختلفة، وتعكس التاريخ العريق الذي تحتويه، ومن أبرز هذه المعالم هي:

• **المسرح الجهوي في وهران:** وهو صرح ثقافي تتميّز به وهران، ويُوجَد في شارع أوّل نوفمبر، ويعدُّ من أكبر المسارح في الجزائر، ويتميّز المسرح الجهوي بالقاعات والصّالات الضّخمة، حيثُ يتّسع المبنى ليضمّ 600 كرسي، وهو مُصمّم وَفقاً للطّراز الأوروبي.

• **كاتدرائية وهران:** تُوجَد في شارع حمو بوتليليس، وتتميّز في تصميمها وبنائها بعوامل من الطراز المعماري الروماني والبيزنطي، مع الزخرفة ذات الطابع الشرقي. كانت هذه الكاتدرائيّة مركزاً للمسيحيين في وهران، وحوّلها أهلها اليوم إلى مكتبة عامة ووجهة ثقافية مميزة في المدينة.

• **معبد وهران العظيم:** أو ما يُسمّى الآن مسجد عبدالله بن سلام، يُوجَد في شارع محمّد بغدادي في وهران، وكان المعبد يخصّ اليهود، حيثُ تمَّ بناؤه من قِبَل اليهود في الجزائر عام 1918م، وهو معبد كبير وجميل، ويُقال إنَّ حجارة هذا المعبد ميّزته في البناء، حيثُ تمَّ إحضار الحجارة من القدس، وبعد استقلال الجزائر تمَّ تحويل المعبد إلى مسجد.

• **قلعة سانتا كروز:** تقع القلعة على أعلى قمَّة جبل في وهران، ويُسمَّى بجبل المرجاجو، تمَّ بناء القلعة من قِبَل الرومان، حيثُ تُحافظ القلعة الآن على شكلها نتيجة موقعها المتميز. عندما يزور الزائر قلعة سانتا كروز،

فسيرى البحر الأبيض المتوسط، وكافّة أرجاء مدينة وهران التي تُعدُّ درَّة البحر الأبيض المتوسط.

• **ساحة أول نوفمبر:** هي قلب مدينة وهران وعصب الحياة فيها، تمَّ إنشاؤها تكريماً لشهداء الثورة الجزائرية المشهورة التي استعادت حرية الجزائر من الفرنسيّين. ويُوجَد في ساحة أول نوفمبر المسرح الجهوي ومبنى بلدية وهران.

• **قصر الباي:** يُوجَد في شارع

مفتاح قويدر في وهران، وتمَّ بناء القصر بأمر من الباي محمد الكبير، وهو أحد أُمراء الجزائر في القرن السّابع عشر. يُعدُّ القصر الآن مكاناً مُلائماً للاستراحة والتنزه، وهو مَعْلَمٌ سياحيٌّ يقصده السيّاح عند زيارتهم للمدينة.

• **كنيسة سانتا كروز:** هي إحدى الكنائس المشهورة في وهران، وتُعدُّ معلماً دينيًّا مهمًّا في الجزائر. تُوجَد الكنيسة في قلب مدينة وهران، وتطلُّ على المدينة كاملةً وعلى الخليج الذي يوجد فيها.

• **محطة قطار وهران:** تمَّ بناؤها خلال فترة الحكم الفرنسي، ويشتهر هيكل المحطة بجمعه لرموز الديانات السماوية الثلاث. يوحي شكل محيطها الخارجي بشكل مسجد، حيثُ تتّخذ ساعتها شكل المئذنة، وتحتوي شبابيك الأبواب والنّوافذ وسقف القبّة على نجمة داوود، ويضمّ المبنى لوحات داخليّة فيها الصليب الكاثوليكي.

تُعدُّ وهران مسقط رأس عدد من الشخصيات المُؤثرة التي ساعدت على كتابة التاريخ. فمِن أبرز تلك الشخصيات ومن أهم رجالها الشهيد أحمد زبانة؛ فهو أول شهيد جزائري يعدمُه الاحتلال الفرنسي في عام 1957م.

عندما تجوب أرجاء المدينة، وخصوصاً الأحياء الشعبة منها، ستلاحظ أنَّ المدينة تتميّز بمطبخ شهيّ للغاية يضمُّ أطباقاً عديدة تحوي عبق التاريخ الذي مرَّ على المدينة، فَمِن أبرز هذه الأطباق:

• **الكرانتيكا:** هو طبق وهراني تاريخي شهير، يعود إلى القرن السادس عشر الميلادي، اخترعه الأسبان أثناء حصارهم في حصن سانتا كروز، ونتيجة لنفاد المُؤن، اضطر الأسبان إلى استخدام ما تبقّى من الحُمُّص والطحين وطبخهما مع الماء والملح والزيت، ومنذ ذلك الوقت، اشتهرت الأكلة في المدينة، وما زال سكان وهران يتناولونها إلى اليوم.

• **البايلا:** يعود أصول هذا الطبق إلى الاحتلال الأسباني الذي كان في المدينة، ويأتي اسم البايلا من كلمة "بقية" بالعربية؛ حيثُ تُشير إلى بقايا الطعام الذي لم يُؤكل، والذي يُوضع فوق بعضه ليُشكّل هذه الأكلة. يُشكّل الأرز أبرز مكون لهذه الأكلة، ويُضاف إليه بعض الأسماك أو المحار، أو الدجاج واللحم إذا كانا متوافرين. وعلى الرغم من أنَّ أكل الأرز ليس من ثقافة سكان المدينة، إلا أنَّ هذا الطبق بالذات لا يوحي فقط إلى الأصل

الثقافي الأسباني، بل يوحي إلى تشابه خليجي وآسيوي في إعداد الطعام، نظراً لتشابهه مع الكبسة والمقلوبة والبرياني.

• **لامونا:** هي نوع من الحلويات مشهور جداً في وهران، ويعود أصله إلى القرن السادس عشر الميلادي؛ فأثناء الاحتلال الأسباني لوهران كان ملوك الأسبان يضعون الأشخاص غير المرغوب فيهم في مبنى يوجد حوله القرود (سُمِّيَ حصن لامون)، وكانت عائلات المساجين تُحضِر لهم كعكاً، وكانوا يمرّرونه بين القضبان، لذا سُمِّيَت هذه الكعكة "لامونا"، ويتزايد وجودها في السفرة الجزائرية في شهر مضان المبارك وفي المناسبات العائلية.

على الرغم من أن "وهران" تقع في الجزائر، إلا أنَّها متفردة بعاداتها وتقاليدها عن باقي المدن الجزائرية الأخرى؛ إذ يعدُّ اللباسُ والزيُّ التقليديان خاصيَّةً تعنى أهلها فقط؛ فالمرأة الوهرانية تتفرد بلبس "البلوزة الوهرانية"، وهي عبارة عن فستان طويل ذي أكمام قصيرة، ومرصَّع بمختلف أنواع الزينة وبخيوط الذهب، يحضر من خامات مختلفة لجميع المناسبات وخاصة الأعراس، فيما يكون لبس الرجال "كندورة وبرنوسا"، وهو لباس يشبه البشت عند الخليجيين، في المواسم الدينية وأيام الأفراح، بيد أنَّ اللباس اليومي هو لباس مستوحى من الثقافة الأوروبية التي سكنت البلاد عقوداً من الزمن وغيَّرت ملامح الحياة فيها.

عندما تتجوَّل في أرجاء وهران، تشدك المباني الهادئة المصمَّمة بطريقة هندسية رائعة، ذات الشبابيك والأبواب العالية، التي تحفها الزخارف الخلَّابة ذات الطراز الأوروبي؛ إذ إنَّ السائر في أرجاء أحيائها قد يتخيَّل نفسه أنه يمشي في شوارع باريس أو لندن أو غيرها من مدن أوروبا العريقة. وتعمل الحكومة الجزائرية حاليًّا على إعادة ترميمها من جديد، والمحافظة عليها؛ لأنها تدرك جيداً أنها تمثِّل روح المدينة وعنوانها.

لتكون بهذا "وهران" الباهية أحد أجمل المدن الجزائرية التي تعكس أصالة متجذرة في عمق التاريخ، ولؤلؤة مشعة في حوض البحر الأبيض المتوسط وشمال إفريقيا.

مكتبة دبي الرقمية
حاضنة التاريخ وسجلات الأمم

د. علي بن ذيب الأكلبي *

تعدُّ مكتبة دبي الرقمية واحدة من المكتبات الرقمية المرموقة في العالم، نظراً لما تمتلكه وما تسعى لاقتنائه وإتاحته من علوم ومعارف بمختلف اللغات مع تركيز خاص على المحتوى العربي؛ إذ تقتني وتتيح مجموعة رقمية ضخمة من الكتب والمجلات العربية والأجنبية العلمية والثقافية والمعاجم والتراجم والسير الذاتية، إلى جانب الصور والخرائط، وأوراق المؤتمرات والصحف والمواد المسموعة والمرئية وغيرها، وقد أرادت مؤسَّسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة لمكتبة دبي الرقمية، عندما بادرت إلى تأسيسها على شبكة الإنترنت، أن تكون مصدر المعرفة الواسع، ومقصد الباحثين والمثقفين ومنسوبي الجامعات ومراكز الأبحاث وكافة المستفيدين، ولذلك فقد أُسِّسَت المكتبةُ برؤية طموحة، وأهداف واضحة لخدمة البشرية والعناية بالعلم والعلماء، وقد حظيت مصادر المعلومات التاريخية بحظ وافر من الاهتمام تمثَّل في اقتناء كم كبير من المخطوطات وكتب التراث، ومصادر المعلومات التي تبحث في التاريخ وسالف الحضارات والأمم، على اعتبار أنَّ العناية بالماضي أساس النجاح في بناء المستقبل، ولأنَّ العناية بالتاريخ تعني تأصيل الأحداث والوقائع المهمَّة التي مرَّت على البشر؛ لأنَّ علم التاريخ من العلوم الإنسانية التي تعتني بدراسة الظواهر التاريخية الحديثة والقديمة، ويوثق الأحداث والتجارب والسلوكيات؛ فالتاريخ سجل الماضي، ولا يجادل أحد في أهمية التاريخ وفائدته العظمى للجميع.

يقول الحق تبارك وتعالى في معرض التنويه بأهمية التاريخ وما فيه من دروس وعظات: **"لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"** (111) سورة يوسف.

وكما هو معلوم فمن ليس له ماض ليس له حاضر، يقول أحمد شوقي في قصيدته التي وجهها إلى الناشئة:

اقرؤوا التاريخ إذ فيه العبر
ظل قوم ليس يدرون الخبر

وتهدف مكتبة دبي الرقمية بشكل واضح إلى إثراء المحتوى الرقمي العربي، وبالتالي دعم اللغة العربية وتعزيز استخدامها لدى شريحة المثقفين من العلماء والباحثين والمهتمين في التاريخ بمراحله كافَّةً، ومختلف نطاقاته الجغرافية، وذلك نظراً لأهمية العناية بعلوم التاريخ والتراجم والسير التي من شأنها أن تجعلنا نقف على الوقائع الماضية والتجارب التي مرَّت بها الإنسانية وتصورها تصوّراً دقيقاً وواضحاً يكفي لأخذ العبرة والاستفادة منها وتوظيفها في معالجة الأحداث الراهنة، والمساعدة على استشراف المستقبل والتخطيط له، ولا شكَّ ولا ريب في أنَّ أهم ما تقتنيه وتتيحه المكتبة من مصادر تاريخية سيرة رسولنا الكريم محمد بن عبدالله، صلى الله عليه وسلم، وغيرها التي حظيت بنصيب وافر من المصادر، إضافة إلى الكثير من المصادر التاريخية الأخرى.

وقد أُعْلِنَ عن انطلاقة مكتبة دبي الرقمية عام 2016 كواحدة من أكبر المكتبات الرقمية العربية التي تسعى مع غيرها من المشاريع المشابهة، كما في المكتبة الرقمية السعودية وبنك المعرفة المصري على سبيل المثال، إلى دعم وزيادة المحتوى العربي المتاح على شبكة الإنترنت، والذي من أهمِّ أنواعه وأكثرها توافراً المحتوى التاريخي الذي يسبر أغوار الأمم السابقة، ويستنبط ويعرض أهمَّ الأحداث والمواقف وما مرت به أمتنا العربية ومنطقتنا الخليجية بشكل خاص، ولهذا فإنَّ المهتمين بالتاريخ

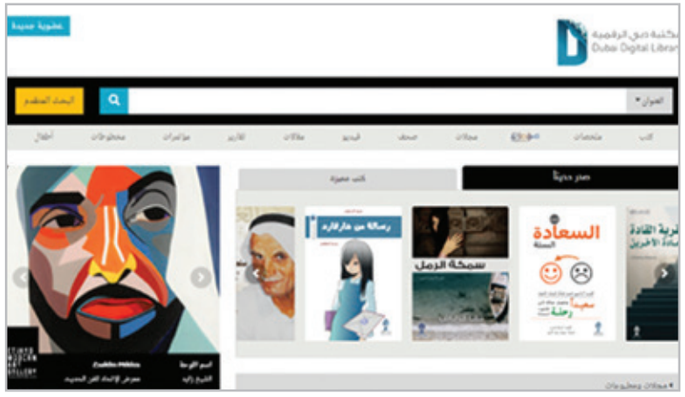

قد صار في متناول أيديهم مورداً عذباً ومعيناً صافياً يتدفَّق بغزارة، لينهلوا من معينه معلومات تاريخية موثوقة واضحة يمكنهم الاعتماد عليها في أبحاثهم ومؤلفاتهم، وكذلك تُوَفِّرُ مرجعاً علمياً للطلبة المتخصصين والدارسين للتاريخ، الذين يعملون على مد الجسور الثقافية، وربط الحاضر بالماضي ليتم إكمال المسيرة والاستفادة ممَّا مرَّ من أحداث تستحق الدراسة، لأخذ الفائدة والاعتبار عند التخطيط للمستقبل.

وقد أدركت مكتبة دبي الرقمية الحاجة الكبيرة لدى الأجيال الناشئة، إلى معرفة تاريخهم وسيرة أسلافهم، وما مرَّت به دولهم من أحداث، وهذا ما جعل مصادر المعلومات التاريخية تحظى بهذا الاهتمام الكبير كأحد مكونات المكتبة العلمية الأخرى التي تفخر باقتنائها وإتاحتها للمستفيدين، لنشر ونقل المعرفة والثقافة العربية للعالم، والمساهمة في حفظ تاريخنا وتراثنا للأجيال القادمة، حيث تشكِّل المكتبة، منصَّةً إلكترونية تستضيف من خلالها العديد من دور النشر والموزعين للمحتوى العربي، وتتيح للباحثين خصائص البحث المتخصص في المحتوى العربي والأجنبي على موقعها على شبكة الإنترنت https://ddl.ae/ على مدار الساعة وطوال أيام الأسبوع، وهذا ما تتميَّز به المكتبات الرقمية عن غيرها، حيث تتلاشى معها حواجز المكان والزمان. ويمكن الوصول المتزامن في نفس الوقت من قِبَل عدد كبير من المستفيدين للمصدر نفسه الذي يحتاج إليه أكثر من باحث من دون أن يتأثر أيٌّ منهم بالآخر، وتقدِّم المكتبة للمستفيدين منها إمكانية البحث الدقيق عبر محرك بحث خاص بالمكتبة قادر على البحث باللغة العربية والاسترجاع بدقة كبيرة، مع إمكانية تضييق نتائج البحث ونطاقه وفلترة النتائج، وهذا يوفِّر الوقت والجهد على الباحث، ويساعده على الوصول إلى ما يريده بسرعة كبيرة.

كم نحن بحاجة إلى التاريخ تعلُّماً وبحثاً ودراسةً في شؤوننا وجوانب حياتنا الاجتماعية والعلمية والوظيفية كافَّة.

* جامعة الملك سعود

كارستن نيبور

رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها

قراءة الدكتورة مريم أحمد قدوري

هي رحلة شهيرة استحوذت على حيِّز مهم في تاريخ الأدب المعاصر، عاش غمارها وكتب تفاصيلها بأنامله، المستكشف وعالم الخرائط الألماني كارستن نيبور، كتبت في مجموعة من الإصدارات، وذلك لكثرة ما احتوته من تفاصيل لا يسعها كتاب أو كتابان، لنختار لكم منها بدورنا ثلاثة كتب، اثنين حملا نفس العنوان «كارستن نيبور - رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها» في جزأين منفصلين ترجمتهما إلى العربية الأستاذة عبير منذر، صدرا عن دار الانتشار العربي بلبنان، وطبعا سنة 2007. والكتاب الثالث يحمل عنوان: «كارستن نيبور – وصف أقاليم شبه الجزيرة العربية» ترجمه إلى العربية الأستاذ مازن صلاح، وصدر عن دار الانتشار العربي بلبنان، في طبعته الأولى، سنة 2013.

في يوم من الأيام، اقترح أحد الأساتذة أن يشارك كاسترن نيبور في رحلة علمية أمر بها الملك فريديريك الخامس ملك الدانمارك في الرابع من يناير سنة 1760، وكان هدف الرحلة كتابة تقرير علمي واجتماعي شامل عن شبه الجزيرة العربية وسوريا ومصر والعراق وغيرها، ووافق نيبور على الاقتراح وانخرط في دورة مدتها عام ونصف العام تقريباً، درس فيها علم الرياضيات والمساحة والخرائط وبعض الدروس في اللغة العربية بشكل مكثَّف، ليتأهَّل لموقعه في البعثة مسَّاحاً وراسماً للخرائط. ومع مطلع العام الموالي بعد انتهاء الدورة، أبحرت الحملة لتصل إلى الإسكندرية، ثمَّ القاهرة، ثمَّ جبل سيناء، ثمَّ السويس، وبعدها جدة ومكة، ثم مخا في اليمن وغيرها من مدن الجزيرة العربية.

كتب نيبور عن جميع المناطق التي زارها، ورسم الخرائط لها، وتحدث عن السكان والقبائل والأديان والمذاهب، ومن بين ما أشار إليه في رحلته الطويلة أنَّ: «سكان اليمن؛ أي سكان الجزء الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، الذي يعرفه الأوروبيون باسم العربية السعيدة، كانوا في العصور الغابرة متحضرين ومشهورين بتجاربهم مع الأجانب». وأضاف: «إنَّ هذا البلد لا يزال الأهم بنظر العلماء، لذا استحقَّ أن يعرف بدقة أكبر، وكنَّا قد استفدنا من اللغة العربية في ترجمة مقاطع عدَّة من الكتاب المقدس، لكن هذه اللغة تنقسم إلى لهجات محلية عدة، شأنها في ذلك شأن اللغات القديمة المستخدمة في بلاد شاسعة، وتبقى لهجة اليمن لغزاً يحيِّر علماء أوروبا. ويمكن لشبه الجزيرة العربية أن تشكِّلَ حقلاً واسعاً للاكتشافات بالنسبة إلى علماء الطبيعة؛ فقد يجد مترجمون في الأسماء التي يطلقها العرب على النبات والأحجار وغيرها تفسيراً لأسماء كثيرة وردت في الكتاب المقدس. وتحصد الجغرافيا فوائد عدة من رحلة كهذه؛ إذ تكثر عندنا الكتب العربية القديمة حول التاريخ والجغرافيا التي ينبغي معرفة وضع الجزيرة الحالي لفهمها، كما أتت الكتابات المقدسة على ذكر مدن عربية عدة، ويمكننا ذكر أسباب أخرى جعلت محبي العلوم يتمنون أن تقوم بعثة العلماء برحلة كهذه».

وبعدما ذكر نيبور أسباب رحلته ونتائجها في بداية وصفه لشبه الجزيرة العربية أردف قائلاً: «بالرغم من أنَّ الموت غيَّب رفاقي، فلا ينبغي اعتبار أعمالهم وكأنها هباءً منثوراً؛ إذ إنَّ السيد فورسكال قد قام بعمل جبَّار حتى مرض، وزودني بمعلومات مهمَّة عن التاريخ الطبيعي، كما ترك السيد دي هافن معلومات دقيقة حول الرحلة من كوبنهاغن إلى القاهرة، ومن السويس إلى جبل سيناء». ويضيف: «إنَّ الذين يقرؤون العمل، يقرؤونه للتسلية وإزجاء الوقت، يستمتعون حين يروي المسافر قصصاً هزلية عن طريقة حياة الغرباء، وعن المصاعب التي واجهها هنالك». ويعترف نيبور قائلاً: "إنَّ هذا أكثر إمتاعاً من وصف جاف للمدن والطرقات التي مرَّت بها البعثة، وليسهل عليَّ جمع عدد كبير من هذه القصص اللافتة والممتعة، فلقد تكبَّدت مشقَّةً كبيرةً حين رسمت خرائط المدن، ووضعت تفاصيل الطرق، لكن محاولة تسلية القارئ ستدفعني إلى إهمال الأبحاث المفيدة التي هي هدف الرحلة. لكني لم أتمكَّن من كبت شعوري حين وجدت أنَّ العرب لا يقلون إنسانية عن الأمم الأخرى التي تدعي الأدب والتهذيب، ولقد أمضيت في البلاد التي زرتها- كما ينبغي أن يتوقع كل مسافر- أياماً ممتعة وأخرى مزعجة. وكنت قد كلفت دراسة الجغرافيا، والذين يعرفون هذا الميدان، يقدِّرون ما ينبغي تكبُّده من متاعبَ لجمع معلومات في بلد غريب، ولا يجهلون أهمية مهمتي، وبالتالي يستطيعون إطلاق حكم سليم حول مدى إنجازي لها".

هي عبارات أدلى بها نيبور بعد تجربة طويلة حصد منها إرثاً تاريخيًّا مهمًّا عن العديد من البلدان التي شملت دراسته العلمية، وكانت البداية من كوبنهاغن إلى القسطنطينية وهي ما يعرف بإسطنبول عاصمة تركيا حاليًّا، التي استهلها بوصف موقعها الجغرافي، وما يحيط بها من أقاليم، وأحيائها الواقعة خارج الأسوار وعلى ضفاف البحر، ووصف تقديري لعدد السُّكان الذين لم تكن لديهم إحصائيات أو تسجيلات رسمية كما هو اليوم، وتحديد ملامح المدينة وكيفية توزيع السكنات فيها، ووصف سقوف المنازل المنخفضة مقارنة بالمنازل الأوروبية، والمساحات الخضراء التي تترك بجوارها. شوارع المدينة التجارية مكتظة، لكن لا يحب أهل المدينة اصطحاب الأجانب إلى المنازل التي تقيم فيها عائلاتهم، مما يمنع دخول التجار والحرفيين إليها، ويعمل هؤلاء التجار والحرفيون في محال صغيرة على طول الشوارع التجارية، لذا لا نرى في بعض الأحيان سوى نجَّارين في أحد الشوارع، وحدَّادين في آخره، أو صائغين، أو تجار حرير أو صانعي أمشاط أو غيرهم. فيما يتوجَّه الآلاف من هؤلاء إلى القسطنطينية صباحاً ليغادروها عند المساء إلى منازلهم الكائنة في ضواحٍ بعيدة أو في القرى الواقعة على المضيق قرب البحر.

وفي قياس، قد تبدو الطريقة التي اعتمدتها غير دقيقة بالنسبة إلى علماء الرياضيات؛ لأني لم أستخدم إلا البوصلة وأقدامي، وبما أنني قست الخطوط الأساسية كلها، أي محيط المدينة والعديد من الشوارع في القسطنطينية والضواحي والمدن المتاخمة، لا أظن أنَّ الخطأ سيكون فادحاً، ولعلِّي أخطأت ببضع أقدام فحسب، لكن هذا الخطأ ليس بحجم الخطأ الذي يمكن أن أرتكبه لو اكتفيت بتحديد مساحة المدينة استناداً إلى الزاوية المقاسة من خارج الأسوار.

هكذا بدأ نيبور سرد تفاصيل رحلته الاستكشافية المطولة التي بدأها من القسطنطينية متوجهاً بعدها إلى الإسكندرية، دمياط، الرشيد، القاهرة، السويس، جبل سيناء، والتي وصف فيها الطبيعة والجغرافيا والأقاليم، ونوعية الآلات التي تعمل على الماء والطواحين ومعاصر الزيت وآلات الزراعة وأفران النشادر وآلات تفقيس البيض، وكيف يقضي المصريون فراغهم من تسليات وتمارين وآثار. فقد ذكر جميع ما تمكنت عينه من مشاهدته، وحصله حسه الفضولي عن أهل مصر، ليعرِّج بعدها إلى جدة ثمَّ مخية ثمَّ بيت الفقيه، وبعدها إلى غلفقة والحديدة والزبيد والتحيتا والقحمة وهدية وإلى الجبال المنتجة للبن، وصولاً إلى عدن وجبلة وتعز وحاس، ثمَّ انطلاقة أبعد قليلاً نحو بومباي وسوارت في الهند، وصف فيها تجارة الشركة الإنجليزية للهند الشرقية، وسلطتها وتجارة موظفيها في مرافئ أخرى فيما وراء رأس الرجاء الصالح. وقد ذكر أيضاً أنَّ سكان جزيرة بومباي من أوروبيين وكاثوليك مولودين في الهند أو برتغاليين مزعومين، وهندوس أو وثنيين، وفارسيين أو عبدة النار ومسلمين، ووصف بالتفصيل جزرها وسلطتها ومناخها وتضاريسها وجميع ما حصل عليه من تفاصيل سكانها.

بعدها انتقل إلى مسقط وبو شهر

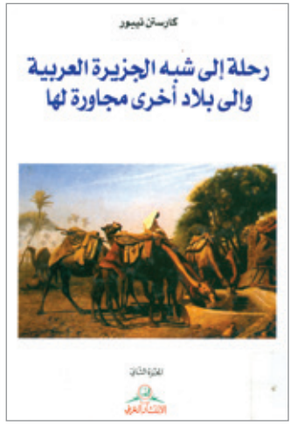

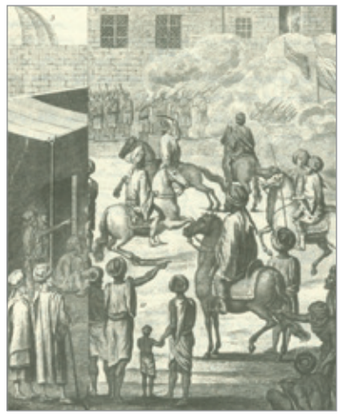

كتاب وصف أقاليم الجزيرة العربية - عرب اليمن

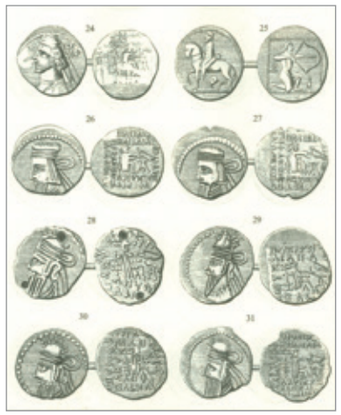

كتاب وصف أقاليم الجزيرة - العملات العربية قديماً

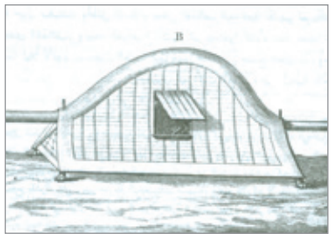

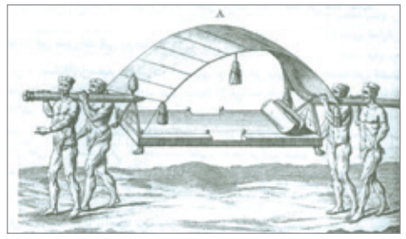

كتاب رحلة إلى الجزيرة العربية- ج2

وشيراز وبرسيبوليس وتحدث عن الأكراد والتركمان البدو المقيمين هناك، وعن جيش الفرس الذي اجتاح البلاد، وقدَّم ملاحظاته عن بقايا قصر برسيبوليس وآثار المنطقة، ليتوجه بعدها إلى الخرج، وهي جزيرة خاضعة للهولنديين اندلعت فيها الحرب بينهم وبين الفرس. ثمَّ توجَّه إلى البصرة؛ فوصف المدينة وطريقة الحكم فيها، وسكانها، وموقعها القديم، وحرب قبيلة كعب العربية ضد الغفس والأتراك والإنجليز، ثمَّ ما بين قبيلة كعب وقبيلة منتفع، وسرقة بساتين البلح في البصرة، الدروب عبر الصحراء من البصرة وبغداد إلى حلب.

ثمَّ تأتي قصة الرحلة من البصرة إلى بغداد عبر نهر الفرات، وقد وصف فيها مدن البلاد وقبائلها العربية، ووصف مسجد الشيعة الموجود في الرماحية، وبقايا الكوفة، ورحلته إلى ضريح حزقيال، وإلى الحلة ، ومشهد الحسين في كربلاء وضريح الحسين، والفرق بين السنة والشيعة، وتغيير ديانة هؤلاء تحت حكم نادر شاه. كما وصف في مدينة الحلة موقع حدائق بابل المعلقة، ومعبد بيلوز، ليتوجَّه بعدها إلى بغداد، وهناك وصف موقع بغداد القديمة، وضريح موسى كاظم، وأبي حنيفة مؤسِّس أحد مذاهب السنة. كتب أيضاً عن تجارة مدينة بغداد وتاريخها الحديث، وطريقة الحكم في هذه المنطقة، وسلطة الباشا، وقدَّم ملاحظات عن كردستان وأخرى عن المنطقة الخاضعة لحاكم بغداد وكيف يعيش البغداديون.

بعد بغداد عرَّج إلى الموصل وقدَّم ملاحظاته عن ينشكا، الطاق، كركوك، التان، كوبري، أربيل، وذكر مبادئ اليزيدية التي يقال إنَّ أتباعها يتعبَّدون الشيطان، وملاحظات أخرى عن كرمليس والتقدُّم

في جدة

كتاب وصف أقاليم الجزيرة العربية- ج1
تمارين يقوم بها الشرقيون في أوقات الفراغ

الكبير الذي أحرزه المرسلون الكاثوليك في هذه البلاد. كما وصف نيبور اللغة الكلدانية الحية المستخدمة في بعض الأحياء، وتحدَّث عن موقع مدينة نينوى، والطرق المختلفة بين الموصل وبغداد، وسكان الموصل وأسماء القرى التابعة لولايتها.

من الموصل الآن إلى ماردين، وهنا الكلام عن تحضيرات الشرقيين للسفر في الصحراء، ورحلة القوافل إلى منطقة كبيرين، وملاحظات حول أقاليمها وجميع تفاصيل الحياة فيها. وقد وصف أيضاً مدينة ماردين وحكَّامها وسكانها المختلفين، ولا سيما الشمسيين- وهم أتباع ديانة قديمة وضعوا أنفسهم تحت حماية بطريك اليعقوبيين.

وذكر الرحلة إلى حلب عبر ديار بكر التي وصف مدنها وطرقها، وأعطى لائحة عن أهم قبائل الأكراد والتركمان التي تهيم مع خيامها في أرمينيا والأناضول وسوريا، والمسافة بين مدن عدة في أرمينيا والأناظول. وقدَّم ملاحظات مهمة عن سوريا وأخرى عن سكان جبل لبنان، وأقسام هذه البلاد، ولغاتها المختلفة، وتحدَّث أيضاً عن السُّنَّة والمتاولة واليهود والمسيحيين. وكان للدروز نصيب آخر مهم من الوصف الدقيق لأصلهم وطبعهم ودينهم، وتحدَّث عن منازل النصيريين والإسماعيليين وديانتهم، وتاريخ الحكم عند الدرزو والتاريخ الحديث لهذا الشعب؛ إذ تحدَّث عن النبلاء منهم وقدَّم وصفاً جغرافيًّا لمنطقتهم، وسيطرة الموارنة على جبل لبنان، كما تحدَّث عن أمراء جبل لبنان المزعومين، ووصف منطقة كسروان ومجينة بيروت وأحياء طرابلس الخاضعة لولاية الباشا التي يسكنها المسيحيون.

يأتي الآن جزء آخر هو من أهم ما استكشف ودونت يدا نيبور، وهو رحلته إلى شبه الجزيرة العربية، ولن تسعنا أسطر هذا المقال للتنويه عمَّا قال، ولكن نذكُر أهمَّ ما قال: "عندما كنت في آسيا تلقيت خبر وفاة ملكنا، لكن العلماء لم يخسروا بخسارته، فقد أمرني الملك كريستيان السابع بمتابعة طريقي، وبنشر هذا الوصف لشبه الجزيرة العربية عند عودتي".

تمَّ اختيار خمسة أشخاص لهذه الرحلة، وكُلِّفَ كلٌّ منَّا بمهمة تتعلق بالعلوم التي يختص بها، وكان البروفيسور فريدرك كرتيان فون هافن قد درس اللغات الشرقية، والبروفيسور بيار فورسكال التاريخ الطبيعي، واهتم طبيبنا الدكتور كرتيان شارل كرامر هو أيضا بالتاريخ الطبيعي، وكان على جورج غيوم بورنفند رسم وحفر المنتجات الطبيعية والمناظر والملابس، أما أنا فكان اهتمامي بالجغرافيا.

انطلقت الرحلة كما كان يريدها الملك، من كوبنهاغن إلى تركيا، لنصل بعدها إلى الخليج العربي، التي عانيت فيها الكثير، فقد توفي جميع أفراد البعثة بالأمراض المعدية، وأصبت بالعديد من الأمراض حين عشت مع رفقائي على الطريقة الأوروبية، لكن حذوت لاحقاً حذو الشرقيين؛ فتعلمت كيفية التصرف في تلك البيئة الحارة القاسية، تذمرت، سلكنا طرقات خاطئة، وحصلت لي الكثير من المآسي التي لا يحتملها الأوروبي.

وفي طريق العودة تعرَّفت إلى التجار والعلماء غير الميسورين، ولا يتحادث المسلمون المهمون ورجال الدين منهم والمدنيون لكثرة أعمالهم، ويقضون ساعات طويلة مع مسيحي لا يتكلم لغتهم بطلاقة، كما تبين لي أن أصحاب المناصب هم الأقل اطلاعاً أو الأقل انفتاحاً. ونحن نتجرأ على طرح الأسئلة حول الديانة الإسلامية على التجار الذين اعتادوا التعاطي مع الأمم كلها وعلى العلماء أيضاً، ومن الطبيعي ألا يتقبل المسلمون أن يهزأ الغريب بديانتهم، وإذا ما تصرفنا بصدق واستقامة مع العرب، فسيبادلوننا بالمثل.

ونستنتج من هذه الملاحظات أنَّ العرب

كتاب رحلة إلى الجزيرة العربية- ج2

ليسوا همجيين وجشعين كما يروى عنهم، وقد يتمكن الأوروبيون من السفر في بلادهم، بشرط أن يتقيدوا بعادات العرب وتقاليدهم، ويزوروا المناطق العربية كافة باستثناء الحجاز. وتبقى اليمن من البلاد الأكثر أماناً، فسكانها مهذبون ويمكننا التنقُّل بأمان في مملكة الإمام كما في أوروبا. وإن كان المسافر مطلعاً على الطب فستفتح له هذه المعرفة أبواباً عدة، ولا يمنع المرء من التجوال في البلاد، خاصة إذا تمكَّن من عقد الصداقات مع السكان وإفادتهم من علمه؛ لأنَّ العرب لا يخجلون كالأتراك من التعلُّم من الأوروبيين. لا يجب أن يكشف المسافر عن هدفه دفعة واحدة، ولا ينبغي أن يتنقد كلّ ما لا يعجبه، كما عليه ألا يحاول كسب ثقة العرب بالإطراء والتملُّق؛ لأنهم يحبون الصدق والصراحة.

ينبغي على الأوروبي الذي يزور شبه الجزيرة العربية أن يهتمَّ باللغة أولاً، ويفضَّل أن يدرسها في أوروبا مسبقاً، لكن لا يظن أحدكم أنَّ فهم العرب يسهل حين نتعلم اللغة العربية في الكتب القديمة؛ فاللغة العامية تغيَّرت كثيراً، وقد حافظوا على الفصحى منذ ألف عام؛ لأنها بالنسبة إليهم هي اللغة الأجمل لأنها لغة القرآن. ولا يقتصر الأوروبي على تعلم اللهجات العامية، فلديه الكثير ليتعلمه في رحلة كهذه، فقد تعلمت أنا الكلمات والجمل التي تستخدم يوميًّا، وعدداً من الأمثال والحكم التي يعرفها الحكَّام وتجهلها العامة، وكتبتها في كتاب صغير، أرسلته إلى السيد ميكائيليس ورجوته أن يترجمه، وهكذا سيتمكن كلُّ من يقوم برحلة كهذه من التعود على لغة البلاد الحديثة التي لا تختلف كثيراً عن لغة القرآن، كما كان يبدو لنا.

أتيحت لي الفرصة لأرى جميع مدن اليمن، ورسمت خريطة جيدة لهذه المنطقة، وحددت حدودها والأقطار التي تنضم إليها؛ كاليمن وحضرموت وعمان والأحساء ونجد والحجاز وغيرها، وتشتمل هذه البلاد الشاسعة على أراضٍ مرتفعة وخصبة، أمَّا السهول فهي قاحلة لأنها تفتقر إلى المياه، لكن في مواسم المطر تتجمَّع السيول في الجبال وتخصب جزءاً كبيراً من السهول، ودرجة الحراة لا تطاق فيها نظراً لارتفاعها الكبير.

يا له من وصف دقيق لحياة شعوب وقبائل عرب شبه الجزيرة العربية ومسلميها! هي رحلة نادرة لكارستن نيبور الذي استطاع رصد أدق تفاصيل حياة رجل شبه الجزيرة العربية، فلم يكتفِ بوصف الأقاليم الجغرافية، كما جاء في عنوان الكتاب الثالث، بل وصف أدق تفاصيل الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية لديهم، من حدود شبه الجزيرة العربية ومناخها وعراقة العرب وسلالتهم وديانتهم وأطباعهم، وطرق تصرفهم في حالات القتل، ونظافة العرب وتحيتهم وطعامهم وبيوتهم وملابسهم، وقانون الزواج لديهم، وتعدد الزيجات، وآثارهم القديمة، والكتابة عندهم والعلم والشعر، والتوقيت الزمني الشرقي وعلوم السحر والتنجيم عندهم، والطب والذهب والزراعة والحيوانات التي يستأنسون بها. إنه جرد مفصَّل لحياة الرجل العربي الذي كان ولا يزال إلى يومنا هذا الشغل الشاغل لتفكير الغرب، كلما تطورت الحياة زاد الفضول لديه في معرفة كيف تطوَّر وإلامَ سيصل، وكلما هددهم الخطر اقتربوا منه لتحصين أنفسهم بثرواته وما تزخر به بلدانه من خيرات. إنه التاريخ يذهب ويعود ويتكرَّر ليبرز لنا في كل حقبة زمنية مكانة العرب عند الغرب عبر العصور.

سعد بن عبد الله الحافي*

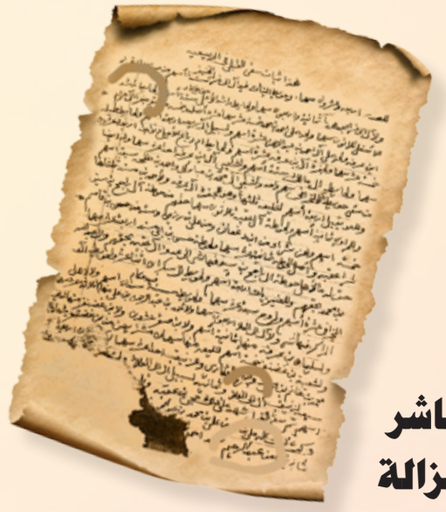

عاشق من القرن العاشر كتب نهايته بدم الغزالة

وثيقة سعيا

تؤكد الزمن وأسماء الشخوص والتجاور دلالة النصوص لا تتفق مع الجانب الأسطوري

كلما ابتعد زمن النص الشعري وكان مرتبطاً بقصة أو حكاية، فإنَّ الجانب الأسطوري يبدأ في التضخم والتهويل، بينما المتفحص لدلالة النصوص يجدها تنفي الجانب الأسطوري. ومن ذلك ما أثير حول هائية الشاعر ابن عبد الرحيم المطوع من أهل القرن العاشر الهجري.

النص

قال التميمي الذي شب مترف
فلما ان جو الدهناء والإنسان ماله

مدى العمر ما شاء في زمانه جاه
ملاذ وما كتب عليه وطاه

يا ركب ياللي من عقيل تقللوا
لقوا جادلٍ في زربها مستكنه

من نجد إلى الريف المريف مداه
حماها من لفح السموم ذراه

احدروا بنا من جو عكل وقوضوا
خذوها بلا رمح زرق ولا عصا

على كل هباع اليدين اخطاه
ولا دفنوا لها حبل العقال تاطاه

علاكم تجد السير لكنها
غشاها لذيذ النوم والنوم قد غشا

الى خثع بالريدا اخلاف سراه
من القوم حذرٍ وايتلوه عداه

صريمة حيدٍ حدها جال تيما
غزالٍ يشابه لخلي ومثله

على الأرض من عالي النبا بوطاه
عنقٍ وعينٍ والحلا حلياه

أقول لإخواني ومثلي ومثلهم
خليلي خلا قلبي من الولف غيره

يشكي همومه إلى من الزمان وطاه
بعت الاخلاء والشجون حذاه

دعوها تخوض في الغي والغي راده
خليلي معسول الثنيات فاتني

كوده الى رأني يشوف مناه
كما فات لقاي الدلي ارشاه

واقفيت مثل هرشٍ من الزمل موقف
كن عن صغير السن حذر ولا تكن

تحايد عن الماء لين حل ضماه
دنوعٍ إلى شفته بسن سفاه

اقفى وهو يتلي سنا نوض بارق
إلى صار ما يأخذ ثلاث مع أربع

يصب على الريدا سفايح ماه
وعشرٍ فلا يشفي الفؤاد لقاه

واقفيت يم الطعس ميس حياتي
تعاديه ما يدري تصافيه ما درى

ولالي بعد خلي من الزاد شهاه
وما عطي من غالي الحديث حكاه

عزي لعيني عذبتني بالشقا
من باعنا بالهجر بعناه بالنيا

ودمعي جرى من ناظري واحفاه
ومن جذ حبلي ما وصلت ارشاه

يا شمل يا مأمونة الهجن هوذلي
الاقفا جزى الاقفا ولا خير في فتى

إلى دار من صعب علي لقاه
يريد هوى من لا يريد هواه

تلفي لخلاني وخلي واهلها
الأيام ما خلن من لا كونه

في حايط العزام يا ماحلاه
ومن لا كونه عابيات عباه

دقاق مجل اطواق يا ناق وان طرى
على القلب زاده من عناه شقاه

يا رب عطنا رجفة تجمع الملا
حتى بها خلي يطير غطاه

لعل قصرٍ حال بيني وبينها
لنجمٍ من المولى يهد بناه

ابغي الى هد العلا من قصوره
واذهلن عطرات الجيوب حياه

يظهر خليلي سالمٍ من ربوعه
هذاك مطلوب الفتى ومناه

الشاعر وعصره

يسميه بعض الرواة عبد الرحمن وعند البعض عبد الرحيم أو ابن عبد الرحيم، ويشتهر عند الجميع بالمطوع وبابن المطوع، وجاء عند جبر بن سيار (المتوفى عام 1085هـ)، قال ابن عبد الرحيم من أهل وشيقر:

قال التميمي الذي رد في الصبا
ضماياه من بعد الصدير حيام

وأقول نعتمد كلام جبر بن سيار، لكونه أقرب عهداً بالشاعر، ويؤكد أنَّ عصره قبل القرن الحادي عشر الهجري، وهذا يتفق مع دلالة البيت الذي استشهد به بركات بن

مبارك الشريف المشعشعي من أهل القرن الحادي عشر الهجري حين قال:

قلته على بيت قديم سمعته

على مثل ما قال التميمي لصاحبه

إذا الخل أورى لك صدود فأوره

صدود ولو كانت جزال وهايبه

وهو يشير بذلك إلى بيت ابن عبد الرحيم الذي يقول فيه:

من باعنا بالهجر بعناه بالنيا

ومن جذ حبلي ما وصلت ارشاه

وحدد ابن بسام وفاته عام 1010هـ اجتهاداً منه في وضع قائمة لوفيات عددمن الشعراء، ولم يبين علامَ اعتمد في ذلك، ويذهب اليوسف إلى أنه عاش مطلع القرن العاشر، وأنه لم يعمّر طويلاً.

ويرجح لدي من دلالات نصوص الشاعر ووثيقة السقيا وإشارة جبر بن سيار ودلالة نص بركات الشريف أنه عاش النصف الأخير من القرن التاسع الهجري، والنصف الأول من القرن العاشر، وقد عمَّر طويلاً.

دراسة النص

تتعدد روايات النص الشعري، ويدخل في بعضها الصنعة الواضحة، ومازالت تحتفظ في مجملها بنسق مترابط وعدد أبياتها يقارب الستين بيتاً، وهنا جمعت بين ما جاء عند ابن يحيى واليوسف، وأرى أنَّ فيه دلالة قد تخدمنا في إجلاء الغموض، ويرتبط هذا النص بقصة تناقلها الرواة تتلخَّص في أنَّ الشاعر قد أحبَّ فتاة صغيرة السن من عائلة خارج القبيلة، ولمعرفته بأنَّ أسرته ستعارض هذا الزواج، اتفق مع أهلها على كتمان الأمر حتى تأتي الفرصة المواتية، واستمر الزواج عدة أشهر، وفي ذات يوم دخلت هذه الفتاة إلى بستان الشاعر لتأخذ بعض الثمار، فلاحظتها أخت الشاعر؛ فانتهرتها على ما تعدُّه سرقة، فقالت الفتاة إنها في أملاك زوجها، فافتضح أمر الزواج، وكيف أنَّ إخوة الشاعر قد هدَّدوه بتطليقها أو قتله، وأنهم أخذوه معهم في قافلة تجارية تمر بنفود الدهناء، ثمَّ اصطادوا غزالة غلبها النوم في مربضها؛ فأراد منهم إطلاقها كونها تشبه حبيبته، ولكنهم ذبحوا الغزالة؛ فانسل منهم إلى مرتفع رملي قريب، ففقدوه وذهبوا في طريقهم ظناً منهم أنه سيتبع أثر القافلة، وكتب هذه القصيدة بدم إبهامه، وقيل كتبها بدم الغزالة على عباءة من الجلد كان يرتديها، وعند عودة القافلة مروا بالمكان الذي فقدوه فيه وعند البحث عنه وجدوه ميِّتاً وبجانبه القصيدة في ذلك المرتفع الرملي الذي التصق به اسمه إلى هذا العصر (نقا المطوع).

ويذكر سعود اليوسف في كتاب «أشيقر والشعر العامي» أنَّ للشاعر بستاناً يسمَّى بالنجيمي، ويشرب من بئر العلا شمال أشيقر، وأنَّ أسرة الفتاة لهم بستان مجاور لبستان الشاعر، ولقد حصلت أخيراً على وثيقة مرفقة صورتها خاصة بتقسيم السقيا بين مزارع متجاورة، وردت فيها إشارات إلى حائط العزام الذين هم أسرة الفتاة، وبستان ابن عبد الرحيم والعلا، وهي ترتبط بدلالتها بما ورد في النص:

تلفي لخلاني وخلي وأهلها

في حايط العزام يا ماحلاه

دلائل الرواية

1- إنَّ الشاعر قد أحب فتاة صغيرة السن وتزوجها بدون علم أهله.

2- يُفْهَم من الرواية أنَّ أهل الفتاة لم يمانعوا الزواج ورضوا ببقائه سراً.

3- يُفْهَم من الرواية أنَّ الفتاة أرادت إعلان الزواج ووضع أسرة الشاعر أمام الأمر الواقع؛ فأقدمت على الدخول في أملاك زوجها.

4- يُفْهَم من الرواية أنَّ من خرج به إلى الدهناء هم إخوته مهددين إياه بالقتل أو التخلي عن الفتاة.

5- يُفْهَم من الرواية أنه حاول الهرب من القافلة، وربما الرجوع إلى بلدته أشيقر.

6- يُفْهَم من الرواية أنه مات في ذلك المرتفع الرملي، ووجدت قصيدته فيما بعد مكتوبة على عباءته.

دلائل النص

1- إن الشاعر قد صحب ركب نجدي من بني عقيل، وقد قصدوا البصرة (الريف المريف).

2- إن بداية الرحلة كانت من جو عكل، ويعني به بلدة أشيقر وهي من منازل بني عكل من تميم، ولذلك نسب المكان إلى القبيلة مباشرة.

3- إنَّ الركب قد أمسك بغزالة، وقد شبهها بحبيبته وطلب إليهم أن يطلقوها، فلم يحققوا رغبته؛ فتركهم إلى المرتفع الرملي وهو في حالة من اليأس.

4- يطلب الشاعر من ناقته أن تجدَّ السير نحو دار الفتاة، ويسمِّي المكان حائط العزام بعد أن صعب عليه لقاؤها.

5- الشاعر يدعو بالرجفة ليطير القناع عن وجه حبيبته، ثمَّ يدعو أن يسقط نجماً من السماء يهدم البيت الذي يحجبها عنه لتخرج منه سالمة معافاة، وهذا يؤكد أنَّ المنع حصل من طرف أهل الفتاة ويؤكد ذلك قول الشاعر:

الاقفا جزى الاقفا ولا خير في فتى

يريد هوى من لا يريد هواه

6- إنَّ الشاعر لم يتزوج الفتاة؛ فقد فاتت عليه ولا يتصور أن يراها زوجة لغيره:

خليلي معسول الثنيات فاتني

كما فات لقاي الدلي ارشاه

7- إن الفتاة لم تبلغ السابعة عشرة من عمرها، وبالتالي هي لا تستطيع كتم السر أو التمييز في تصرفاتها:

كن عن صغير السن حذر ولا تكن

دنوع إلى شفته بسن سفاه

إلى صار ما ياخذ ثلاث مع أربع

وعشر فلا يشفي الفؤاد لقاه

تعاديه ما يدري تصافيه ما درى

وما عطي من غالي الحديث حكاه

نصٌّ ثان للشاعر ذو دلالة

أبحت العزا يا شكر في رأس مرقب

وجريت بالحان علي اعجاب

على مثل غصن الموز غض شبابه

يقود الهوى بين أشفتيه اعذاب

بايعتها والسوق بيني وبينها

والبيع في بعض الأمور اكذاب

ولحقتها إلى باب العطيفه ظاهر

ألينه غدا بين البيوت ذهاب

وهو بادي وأنا مع الحضر قاعد

وطرد البوادي للحضور عذاب

فيا ليت زمول البدو يوم رحيلها

تكون في ذاك النهار ذهاب

نطحني غب السيل في الوادي الذي

اذا قلت أنحى في مسيله هاب

نشدته من يعزى عليه وقال لي

أنا من عقيل ما علي اطلاب

وقفا يخوض الماء في خمص نواعم

وساقين فيهن الحجول لباب

تبسم عن عذاب غر ذوابل

يردن من عاف السفاه وتاب

واقول تقطيف الثمر من غصونه

يزيد الفتى ما دام فيه شباب

وكل جناي ما جنى اثمار الهوى

يخيب ومن لا ذاق جنيه خاب

الا ياحمامـات النجيمي وما حلا

غناكـن لـولا ان الضميـر مصاب

مصـاب مـن عين وخد ومبسم

وجيـد ومجـدول زهـاه خضـاب

وصـلوا على خير البرايـا محمـد

عدد ما ناض بارق وهـل سحاب

دراسة النص

ورد هـذا النـص فـي مخطـوط ابـن يحيـى، وقـدَّم لـه هكـذا: «ممـا قـال عبدالرحيـم المطـوع مـن أهـل وشـيقر وهـو التميمـي». وأقـول: هـو ابـن عبـد الرحيـم كمـا أشـرنا، وبالنظـر فـي مطلـع القصيـدة، نجـده يختلـف فـي أسـلوبه عـن الأسـلوب المعتـاد لشـعراء القـرن العاشـر الهجـري بشـكل عـام، حيـث يسـمي كلُّ شـاعر مطلـع قصيدتـه باسـمه، إلا أنَّ الشـاعر هنـا يخاطـب مباشـرة شـخصاً يسـميه (شـكر) شـاكياً لـه مـا يعانيـه مـن الوجـد، وشـارحاً قصتـه الغراميـة مـع إحـدى الفتيـات التـي يبـدو مـن النـص أنـه حصـل بينهـا وبينـه بيـع وشـراء، ثـم تركتـه مرتحلـة مـع قومهـا بعـد أن تعلـق بهـا.

دلائل النص

1- تعـدد غراميـات ابـن عبدالرحيـم، ولـم تنحصـر فـي قصتـه مـع الفتـاة صغيـرة السـن التـي قيـل إنـه مـات بسـببها كمـا مرَّ معنـا.

2- يذكـر الشـاعر بنـي عقيـل، وهـذه قرينـة تؤكـد أنَّ عصـر الشـاعر فـي القـرن العاشـر الهجـري ومـا قبلـه، حيـث لـم يعـد لبنـي عقيـل ذكـر فـي أحـداث نجـد فـي القـرن الحـادي عشـر الهجـري.

3- يذكـر الشـاعر بـاب العطيفـة والنجيمـي فـي بلـدة أشـيقر، ويقـول عنـه سـعود اليوسـف فـي كتـاب أشـيقر والشـعر العامـي: «بـاب العطيفـة بـاب (حائـط جميلـة) ويقـع شـمال بئـر الربيعـة، يلتقـي بسـوق السـديس المؤدي إلى خـارج البلـد والنجيمـي هـو بسـتان نخيـل يسـقى مـن بئـر العـلا فـي شـمال أشـيقر». وأقـول: إنَّ هـذه الأماكـن تؤكـد مـكان الحـدث.

تساؤل

هـل نهايـة الشـاعر كانـت مأسـاوية فعـلاً أم هـي مـن نسـج خيـال الـرواة؟ وإذا كان كذلـك، فكيـف نسـتطيع الجمـع بيـن الروايـة التـي تقـول إنـه مـات فـي صبـاه بسـبب العشـق وبيـن مدلـول هـذا النـص الـذي يتوجـد فيـه الشـاعر علـى فتـاة أخـرى غيـر صاحبـة القصيـدة الهائيـة، أو كيـف نجمـع بيـن القـول بأنـه مـات شـابًّا بعـد أن هـدده أخوتـه بالقتـل، وبيـن مدلـول نـص آخـر نجـد سـياقه المعنـوي يـدلُّ علـى أنَّ الشـاعر قـد خطَّـه الشـيب، ولـم يعـد فيـه مطلبـاً للنسـاء؟ ويؤكِّـد نسـبة هـذا النـص للشـاعر استشـهاد جبـر بـن سـيار بمطلـع القصيـدة فـي معـرض حديثـه عـن الشـاعر، والـذي ذكـر منهـا اليوسـف أبياتـاً فـي البيـت الثالـث والأخيـر منهـا خلـل قمـت بتصحيحـه، يقـول فيهـا الشـاعر:

قـال التميمي الذي رد فـي الصبـا

ضمـاياه مـن بعـد الصديـر حيـام

يا جانيات العصفر الغض بالضحى

عليكـن يـا نجـل العيـون سـلام

قالت نسلم على المردان وأهـل

ومـن لاح شيبـه ما عليه سلام

ياعقدة البـاب التي قـد تهدمـت

بنايـاك مـن طـول السنين اثلام

يا نبتة البرني سقيتي مـن الحيا

سحاب ومن عقب السحاب غمام

يا سدرة الفرع الشمالي من العلا

مقيـالها إلـى اخـر النهـار منـام

*** رئيس تحرير مجلة الحرس الوطني السعودية**

عضو اللجنة الثقافية ورئيس لجنة الأدب الشعبي بمهرجان الجنادرية

هـذه (مـدارات) تُحلِّـق بالقـارئ فـي فضـاءات متعـددة؛ تسـلّي الخاطـر، وتقـدح زنـاد العقـول الذّكيـة، وتبيّـن كثيـراً ممـا خفـي علـى بعضنـا فـي بسـاتين شـتى مـن العلـوم والنظـرات العامـة فـي الحيـاة والثقافـة. وقـد أنفـق الكاتـب فـي تحصيلهـا سـنواتٍ، واسـتقى مادتهـا مـن بطـون مئـات مـن المراجـع، حتـى تحصّـل مـن تلـك الأصـول المتفرقـة مؤلّـف واحـد يُعـدّ زاداً معرفيًّـا لطالـب العلـم والثقافـة.

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

تحت مجهر فالح حنظل

مؤرخو الإمارات الأوائل وآثارهم

قال المؤرخ والباحث في تاريخ الإمارات والخليج العربي الدكتور فالح حنظل: إنَّ مؤرخي الإمارات الأوائل أسهموا بدرجة كبيرة في حفظ تاريخ المنطقة، ونقله إلى الأجيال المقبلة، ما يفند النظرية القائلة: إنَّ تاريخ منطقة الخليج لا يتوافر سوى في الأرشيف الإنجليزي. وأكَّد أنَّ المخطوطات التي تركها لنا المؤرخون الأوائل من أبناء الإمارات، أسهمت في إلقاء الضوء على أهم الأحداث والوقائع التي شهدتها المنطقة.

جاء ذلك في أمسية نظَّمها مركز جمال بن حويرب للدراسات، بحضور نخبة من المثقفين والأدباء والمهتمين، وعدد من الإعلاميين والصحافيين.

قدَّم للمحاضرة الباحث والأديب الأستاذ بلال البدور رئيس جمعية الحفاظ على اللغة العربية في الدولة بقوله: في هذه الأمسية التي يغيب عنها أخي سعادة جمال بن حويرب، رئيس المركز، بسبب سفره خارج الدولة، نسلِّط الضوء على جانب من تاريخ الدولة.

ويطيب لي أن أقدِّم لكم غواصاً ماهراً في أعماق التاريخ، شخصية من أبناء المنطقة، كان يعمل في مجال شركات الحفر في الأعماق، فإذا به يخرج منها ليغوص في أعماق تاريخ المنطقة، ويوثق لنا الكثير من وقائعها وأحداثها، من خلال ما وقع بين يديه من مخطوطات تركها لنا المؤرخون الأوائل من أبناء الإمارات.

محاضرنا بذل جهداً كبيراً في جمع ما كتبه أبناء الإمارات، وفاجأ الجميع بكتابه «المفصل في تاريخ الإمارات»، ثم أتحفنا بـ«الأمثال الشعبية في الإمارات»، وجمع دواوين أبناء الإمارات في الشعر الشعبي، ثمَّ راح يقلب صفحات التاريخ التي كتبها مؤرخ الإمارات عبدالله بن صالح المطوع وأعدها للطباعة، وتصدى لديوان الشاعر حميد بن سلطان الشامسي، وأصدره بطبعة خُجبت لاحقاً.

وأضاف البدور: أما أهم عمل للمحاضر في نظري فقد كان البحث عن مخطوطة كنا نسأل عنها دائماً، للمؤرخ يوسف بن محمد الشريف، فقد حقَّقها الدكتور حنظل وأتحفنا بما نقلته من وقائع تاريخية. وأخيراً وليس آخراً، بحث محاضرنا في الأرشيف الوطني عن الرسائل المتبادلة، فكانت «رسائل السركال» و«رسائل المجلس»، إضافة إلى مجموعة كبيرة من الأعمال التي تتناول تاريخ الإمارات.

المخطوطات القديمة

بدأ الدكتور فالح حنظل حديثه قائلاً: يشكِّل موضوع المخطوطات القديمة في الإمارات مجالاً واسعاً يجب الاهتمام به في المرحلة الحاضرة، لأنه أحد الطرق المؤدية لمعرفة أخبار الأولين وتاريخهم، وما ورثناه منهم وعنهم، لكن مما يحز في النفس أنَّ الكثير من أبناء الإمارات، وبسبب الهَبة والنقلة السريعة من القديم إلى الحديث

المؤرخ والباحث فالح حنظل

في المجتمع، حسبوا أنَّ مخطوطات الأولين لا أهمية لها، أو أنها آثار مندثرة، أكل عليها الدهر وشرب.

إنَّ حجب فترة تاريخية من حياة الأجداد يترك أبناء الجيل الجديد في حيرة من أمرهم، ويجعلهم عرضة لتقبُّل وتصديق الروايات المشوشة، أو المبالغ فيها، بل وحتى غير الحقيقية؛ لذلك ليس غريباً أن نجد أبناء الجيل الجديد لا يعرفون شيئاً عن الغافرية والهنائية، اللتين عمّا الفكر السياسي والاجتماعي والقبلي لآبائهم وأجدادهم. إن إخفاء الحقائق لا يلغيها من الوجود؛ لذا فعلى الدارس المتمعن أن يفهم بتجرد وتعمق أسباب وجذور تلك المتناقضات، وأن يفهم أيضاً ظروف ذلك العصر.

وأضاف د. حنظل.. عندما كتبت موضوع «مخطوطات الأولين من أهل الإمارات»، وكان ذلك في العام 2007 م، لم أكن حصلت على مخطوطة «الحوليات في تاريخ الإمارات»، لمؤلفها المرحوم يوسف بن محمد الشريف، من أهالي رأس الخيمة، والمتوفى عام 1917م.

مخطوطة الحوليات في تاريخ الإمارات

هذه المخطوطة التاريخية التي ألّفها الشريف، نسخها وأضاف إليها مواد جديدة، المرحوم الشيخ محمد بن سعيد بن غباش «ت 1969 م». فلقد تردد اسم يوسف الشريف كمصدر وسند في

بلال البدور: محدثنا كان يعمل في مهنة الحفر وخرج منها ليغوص في أعماق تاريخ المنطقة

جانب من الحضور

الكتب والمؤلفات التاريخية القديمة التي ألّفها المؤرخون من أبناء الإمارات، مثل الكتابين اللذين ألفهما المرحوم عبدالله بن صالح المطوع، الأول بعنوان «الجواهر واللآلئ في تاريخ عمان الشمالي»، والثاني بعنوان «عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان». وكذلك كتاب المرحوم حميد بن سلطان الشامسي، المعنون بـ«نقل الأخبار في وفيات المشايخ وحوادث هذه الديار»، إضافة إلى كتاب المرحوم الشيخ محمد بن سعيد بن غباش بعنوان «الفوائد في تاريخ الإمارات والأوابد».

واستطرد د. فالح: شدّت اهتمامي بصورة كبيرة مخطوطة المرحوم يوسف الشريف، ورحت أبحث عنها، إلى أن وجدت نسخة منها في أوائل العام 2011، محفوظة عند المرحومة آمنة ابنة المرحوم الشيخ المؤرخ عبدالله بن صالح المطوع، فأيقنت أني عثرت على كنز ثمين، فانكببت على دراستها وتحقيقها، ووجدت أنها:

- ليست المخطوطة الأصلية التي ألفها وكتبها المرحوم يوسف الشريف بخط يده، فالأصل لا يزال مفقوداً، أما الموجودة فما هي إلا نسخة المرحوم الشيخ محمد سعيد بن غباش عن المخطوطة الأصلية المفقودة.
- جاءت على شكل حوليات سنوية هجرية، وكل شهر من الحول، جاء إما في سطر واحد، وإما في سطور عدة تحتوي على خبر واحد.
- ليست ذات موضوع واحد، فهي مكونة من خمس مخطوطات، بلغ عدد صفحاتها 91 صفحة، لا خلط فيها ولا تكرار، وسنوات وأحداث منقولة بعضها عن بعض، أو مضاف إليها، علاوة على اختلاف أشكال الكتابة.

لكن أهمية هذه المخطوطة تنبع من كونها أقدم مخطوطة في تاريخ الإمارات. وتعدُّ ذات أهمية جوهرية للباحثين في تاريخ الإمارات؛ لأنَّ ما جاء فيها كتبه ابن البيئة الاجتماعية والتاريخية، وذكر أحداثها بأسلوب بسيط بعيد عن الإنشاء.

مخطوطة الجواهر واللآلئ في تاريخ عمان الشمالي

قال المحاضر: هذه المخطوطة للمرحوم الشيخ عبدالله بن صالح المطوع، من أهالي إمارة الشارقة، ولد في العام 1890، وانتقل إلى رحمة الله في العام 1959م، ويعدُّ من رجال الصفوة المتعلمة الأولى في الإمارات، ممن تركوا لنا آثاراً أدبية ومخطوطات تاريخية؛ لذا يعدُّ شيخ المؤرخين في الفترة التي عاشها. وهذه هي المخطوطة الأولى له. لم يذكر في مقدمتها تاريخ تأليفها، لكن يُعتقد أنه كتبها في خمسينيات القرن الماضي، أو قبلها بقليل.

وتكمن أهمية المخطوطة في أنها تجيب عن الكثير مما لم يذكره المؤرخون الأجانب عن النشأة الأولى للإمارات، كما أنه أورد تفصيلات عن بعض أنساب وأحساب الأسر الحاكمة في الإمارات.

وتتألف المخطوطة من مقدمة وأربعة فصول، ثم ملحق أول، يتبعه ملحق ثانٍ.

تحدث الفصل الأول الذي جاء بعنوان «قبيلة آل نهيان»، عن نسب آل نهيان الكرام، وتحدث عن الجد الأكبر، الشيخ فلاح الأول، ونسبه إلى بني هلال، القبيلة العربية المعروفة. ثم تحدث عن تسلسل حكام إمارة أبوظبي، وتطور الأحداث فيها، وعلاقة حكامها بحكام القواسم، وكذلك علاقتهم بالسعودية وعمان، إلى أن وصل إلى عهد المغفور له الشيخ زايد بن خليفة «زايد الأول».

فيما ذكر الفصل الثاني من المخطوطة تاريخ القواسم، ونسبهم القبلي، وتحدث عن تأسيس إمارة القواسم، ونزوحهم الأول من العراق إلى سواحل فارس، ثم وصولهم إلى «جلفار» رأس الخيمة.

وأوضح أنَّ أول زعيم لهم كان الشيخ كايد بن عدوان، ويعرف أيضاً باسم كايد بن حمود، إلى أن يصل إلى عهد الزعيم القاسمي الكبير سلطان بن صقر الأول، والمداخلات السعودية - العمانية – البريطانية، وظروف ووقائع الحرب البريطانية – القاسمية، ومعارك السفن البحرية، ثم ظروف اعتقال الشيخ سلطان بن صقر في السعودية وعودته إلى بلاده وتسلمه زمام الحكم والسلطة القاسمية.

حنظل: ينبغي ألا نخاف من التاريخ فهو علم وأدب وفن ووقائع تقتضي تسليط الأضواء عليها بكل جرأة

فالح حنظل ومقدمه بلال البدور وجمهور نوعي شهد المحاضرة

في حين تحدث الفصل الثالث عن «آل علي»، وهم «المعلا»، حكّام أم القيوين، وعن نسبهم من قبيلة طي العربية، وتنقلهم ما بين الساحلين العربي والفارسي. ثم ظهور أول زعيم لهم، الشيخ «عريد آل مطران»، ومصرعه في معركة «الراعفة» قرب رأس الخيمة. إلى أن ظهر على مسرح الأحداث الشيخ ماجد بن خلفان بن بركات، الذي لمّ شمل المعلا، وإليه ينتسب الحكام الحاليون، حيث تولى المرحوم الشيخ أحمد بن راشد المعلا زمام الأمر في العام 1909م.

أما الفصل الرابع فقد جاء عن قبيلة النعيم، وعن حكّام إمارة عجمان. وتحدث عن نسبهم، وأبرز علاقاتهم مع أولاد عمهم الشوامس، كما تحدَّث عن تأسيس إمارة عجمان، وظروف تولي المرحوم الشيخ راشد بن حميد بن سلطان القرطاسي، وهو الجد الأكبر للأسرة الحاكمة في عجمان حالياً.

مخطوطة عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان

قال المحاضر: هي مخطوطة يغلب عليها الطابع السياسي؛ إذ حاول المؤلف المرحوم عبدالله بن صالح المطوع، من خلالها أن يفسِّر الأحداث التي تطرق إليها بالمفهوم السياسي الذي كان يؤمن به، المتمثل في انتمائه إلى التكتل «الغافري»، الذي كان يقابله التكتل «الهنائي»، وهما التكتلان اللذان انتشرا في عمان والإمارات لفترة طويلة من الزمن.

وهذان التكتلان لهما جذور تاريخية قبلية قديمة، تطورت وتحورت لتجعل منهما كتلتين سياسيتين، دارت على محوريهما أغلب أحداث التاريخ العماني والإماراتي.

شرح نونية مفاخر القواسم

هي مخطوطة كتبها المرحوم عبدالله بن صالح المطوع، أدرج فيها قصيدة «نونية مفاخر القواسم»، لمؤلفها المرحوم إبراهيم محمد المدفع، ثم علّق عليها، والشرح والبيان، لما احتوته أبياتها من معانٍ وتاريخٍ وذكريات ووقائع.

أما ناظمها، فهو إبراهيم المدفع، من وجهاء الشارقة وأعلامها، توفي في العام 1985م، وقد عرف عنه ولعه بالعلم والأدب. وقد أصدر- رحمه الله- ثلاث صحف؛ هي عمان، وصوت العصافير والعمود، وكان يكتبها بخط يده، في وقت لم تكن هناك مطابع في الشارقة، وكانت موضوعاتها سياسية، واجتماعية وانتقادية، لذلك كانت السلطات البريطانية تمزقها وتمنع صاحبها من الكتابة، لكنه يعود لكتابتها في اليوم التالي ويعلقها في مكان عام.

وأضاف: هذه النزعة الأدبية هي إرث من عائلته المعروفة ببيت العلم، فجده المرحوم عبدالله بن حسن المدفع، أسس المكتبة التيمية في الشارقة، ومن هذه المكتبة كان للحفيد إبراهيم مجلس أدبي يؤمه الناس، ويتحدثون فيه عن أمور الدين والدنيا.

مخطوطات وأعلام

ثمَّ تطرق المحاضر إلى ذكر مخطوطات كتبها عدد من الأعلام أمثال المرحوم الشيخ حميد بن سلطان بن حميد الشامسي، الذي كتب مخطوطة «نقل الأخبار في وفيات المشايخ وحوادث هذه الديار»، وهو من إمارة أم القيوين، وانتقل إلى رحمة الله تعالى في العام 1980م، عن عمر تجاوز ثمانين عاماً.

وكذلك المرحوم محمد بن علي الشرفاء الحمادي، من أهالي إمارة الشارقة، ويعدُّ من صفوة المتعلمين الأوائل من أهل الإمارات، وكتب مخطوطة «خطرات واختيارات»، ومخطوطة «نيل الرتب في جوامع الأدب».

واستطرد حنظل: أمَّا المرحوم محمد سعيد غباش، من إمارة رأس الخيمة «1899 - 1968م»، فقد ترك لنا مخطوطتين؛ الأولى بعنوان «الفوائد في تاريخ الإمارات والأوابد» كتبها في العام 1967م؛ أي قبل سنة من وفاته، والثانية تبحث في علوم البروج الشمسية، وما يقابلها من الشهور الرومية والقبطية والفارسية.

واختتمت الأمسية بحوار جاد بين المحاضر، وعدد من الحضور منهم الباحث راشد بن هاشم، والقنصل الجزائري في دبي محمد دراجي، والدكتورة رفيعة غباش، التي جاءت من البحرين وتوجهت مباشرة من المطار إلى مركز جمال بن حويرب للدراسات، كي تشارك في الأمسية، وكذلك الباحث ثاني المهيري، الذي أتحف الحضور بما قدمه من معلومات تاريخية قيمة، والصحافي نادر مكانسي، من الجامعة الأمريكية في دبي.

الفاتنة

شعر | جمال بن حويرب

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

صور قديمة نادرة

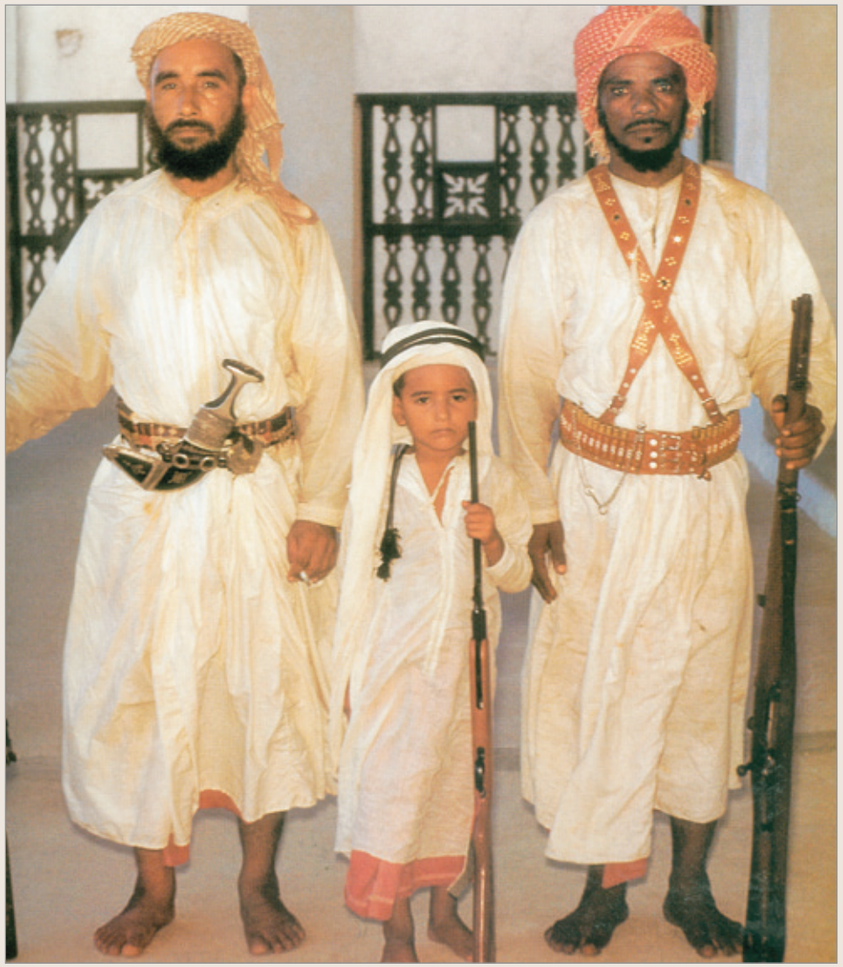

الصورة لصاحب السمو الشيخ حمد بن محمد الشرقي مع اثنين من حاشيته في صورة التقطت عام 1953. وقد تولى صاحب السمو الشيخ حمد- حاكم الفجيرة الحالي- الحكم خلفاً لوالده في عام 1974. ويبدو الشيخ حمد في الصورة حاملاً بندقية هواء تلقاها هدية من المصور رونالد كودري.

الصورة للمغفور له الشيخ محمد بن حمد الشرقي المولود عام 1908 تولى حكم الفجيرة منذ عام 1938 وحتى انتقاله إلى جوار ربه في عام 1974، وقد التقطت هذه الصورة في المجلس الموجود بمنزل المصور رونالد كودري (ملتقط الصوة) في دبي، بعدما زاره الشيخ محمد بمناسبة توقيع اتفاقية حقوق التنقيب عن النفط.

رونالد كودري مع الشيخ أحمد بن راشد المعلا، المولود عام 1908، والذي حكم أم القيوين منذ 1929، وحتى انتقاله إلى جوار ربه في عام 1981.

الصورة للشيخ محمد بن حمد الشرقي مع بعض رجال القبائل التابعة له، إذ كانت الفجيرة مقراً للعديد من القبائل والعشائر، والتي تولى الحاكم مهمة ضمان السلام والوئام فيما بينها.

من روائع رمستنا

”الرمسة“ كلمة تلفت نظر من يسمعها من إخواننا العرب والخليجيين، وذلك لأنهم لا يعرفون معناها، ولم يبحثوا عنها في معاجم اللغة العربية القديمة، ليعلموا أنها فصيحة، وأنها ليست من أخطاء العوام، وليست مستوردة من خارج المنطقة كما يظن آخرون. تطوَّرت مع تطوُّر اللهجات بعد تغيُّر ألسن العرب الأقحاح، فلم يعودوا يتوارثون الإعراب- حركات الكلمة- وصارت جملهم مبنية على السكون كحال جميع العرب اليوم؛ لأنَّ العوامل النحوية مؤثرة بطبيعتها، كالمبتدأ والخبر، وكان وإنَّ وأخواتهما وغيرها التي حفظت لآلاف السنين في لسانهم العربي، وأرضعته الأمهات العربيات لأبنائهن وبناتهن، فتكلموا بفصاحة سليمة عبر قواعدَ وُلِدوا بها وحفظوها، كما نحفظ نحن لهجتنا العامية، فنحسن أساليبها، وننتقد من يكسر قواعدها، ونعلِّم أبناءنا النطقَ الصحيحَ لها، لكي لا يكونوا سخرية لأحد من الناس في منطقتهم، وكذلك كان العرب في عصر ما قبل الإسلام وبداياته.

جمال بن حويرب

”رمستنا الإماراتية“ هي من روائع لهجتنا المحلية، التي هي الابنة البارة لأمها اللغة العربية الفصحى، فقد حافظت على مفرداتها وأساليبها، وسنذكر لكم بعض الشواهد التي تدل على روعتها وجمالها.

أذكر أنني كنت أطالع في بداية طلبي للعلم كتاب ”أدب الكاتب“ لابن قتيبة الدينوري (213-276 هـ) رحمه الله، وقرأت كلمة (الخبط) فسألت مباشرة جدتي –رحمها الله- عن هذه المفردة؛ فقالت: الخبط (بسكون الباء) يستخدمه أهل الغوص، فقلت: ليس ذلك ما أعنيه إنما أسألك عن (الخَبَط بفتح الباء) الذي في البر، فقالت: هو أن يضرب الراعي بعصاه الشجر، فما تساقط من الورق فنسميه (خَبَط)، فلما قرأت ماسطَّره ابن قتيبة ذهلت لأنه نقل كلامها، وكأنه أخذه عن أعرابي في زمنه، حيث قال: ”الخبَط مصدر خبطت الشيء خبطاً، والخبَط ما سقط من شيء تخبطه، من ذلك خبط الإبل الذي توجره (تبتلعه)، إنما هو ورق الشجر يخبط فينتثر“، فقلت: سبحان الله! فصاحة أهلنا في الإمارات لم تنقطع كل هذه القرون الكثيرة، وإنما ينقصهم قواعد النحو فيعودون إلى أصل لغتهم الفصيحة.

وفي موقف آخر، كنت في مجلس أقارب لي من الشيوخ الطاعنين في العمر فقال أحدهم: إنَّ فلاناً سبَّ فلاناً، فردَّ عليه أحدهم وقال: لم يسبه بل نضحه، فبحثت عن كلمة (نضح) في معاجم اللغة العربية فوجدت المعنى الذي كان يدور حوله الكلام مطابقاً للمعنى نفسه الذي كان يتكلَّم به العرب الأقحاح، فيقول الفيروز أبادي في قاموسه: ”أنضح عرضه: لطخه“، وجاء في لسان العرب: ”أمضح عرضه وأنضحه إذا أفسده“، فلما قرأت هذا عجبت أشدَّ العجب من فصاحة هؤلاء الشيوخ الكبار، الذين أعدُّهم مرجعاً مهمًّا للهجتنا الفصيحة، فقد قام هذا الشيخ بتصحيح مفردة ”سب“ لمعنى أكثر دقة للموضوع المثار، فقال: ”نضحه“ وهذا من روائع ”رمستنا“ التي يجب أن نحافظ على دقتها ووصفها العميق؛ لأنَّ بقاءها بقاءٌ للغة العربية الفصحى. وقد ظهرت اللهجات العربية بعد انهيار قواعد اللغة العربية الفصيحة، وابتعاد الناس عن هذه القواعد التي توارثوها منذ قديم الزمان، وحافظوا عليها عندما كانوا يعيشون في مجتمع مغلق في صحراء موحشة حتى جاء الإسلام، وأظهر الله دينه وانتشر في الأصقاع، وخرج العرب الفصحاء في الجيوش الإسلامية، وعاشوا في بلدان مزجتها أعراق شتى، ودخلت في دين الله أفواج المؤمنين، فخالطوا العرب الأقحاح، فتمَّ هدم القواعد واختلت السليقة الصحيحة، وانقطع الإعراب إلى الأبد، وهي حركات العوامل اللغوية من فاعل ومفعول ومبتدأ وخبر وغيرها، فلما رأى العلماء ما أصاب لغتنا هرعوا لوضع قواعد الفصحى، وتقسيم هذا العلم العظيم إلى نحو وصرف وبلاغة، لتعليم العرب والمسلمين لغتهم ولغة دينهم، فوا أسفاه على لغتنا العزيزة التي ضاع أكثرها، ولم يبقَ إلا ما دونه علماء اللغة في القرون الأولى، وورثت اللهجات المحلية من المغرب حتى عمان الفصحى، واحتفظت بمفرداتها دون إعرابها، وأدخلت عليها مفردات أخرى كثيرة من محيطها الذي وُلِدَت فيه إمَّا من باب المجاز، وهو الغالب عليها، أو من تأثير الدول المجاورة الأعجمية، أو بسبب الاستعمار الأوروبي في العصور الصليبية وفي العصر الحديث.

في أحد الأيام ناقشني أحدُ المغردين الخليجيين في ”تويتر“ عن مفردة نستخدمها في لهجتنا وهي تسميتنا لغطاء الرأس ”سفرة“، فضحك مِنَّا وقال لي: لِتَقُلْ شماغ أو غترة، أما السفرة فهي سفرة الطعام! فقلت له: أخبرني ما معنى الغترة والشماغ إن كنت من العالمين؟ فحار في جوابه ولم يجد لها معنى، فأخبرته أنَّ الغترة أصلها ”قترة“ وهي قترة الصائد الذي يختبئ فيها ولا يمكن أن تكون بمعنى غطاء الرأس لأنها حفرة، أمَّا الشماغ فهي كلمة أعجمية لم أجد لها أصلاً واحداً وبعضهم يقول إنها تركية من ”ياشماك“ بمعنى الخمار، وقد أدخلت في المعجم الإنجليزي منذ حقبة طويلة، ولكني أشك في أصلها، وهي مفردة مستخدمة في الجزيرة العربية ولم يعبها أحد، فكيف تعيب السفرة وهي أقرب كلمة للعربية؟! فقال لي: كيف ذلك؟ قلت له: يقول أصحاب المعاجم العربية: إنَّ السفرة التي يأكل عليها سميت سفرة؛ لأنها تنبسط إذا أكل عليها، وعلى هذا فمفردتنا الإماراتية فصيحة، وغترتكم وشماغكم غير فصيحتين، فما كان من هذا ”التويتري“ المجادل إلا أن انسحب بصمتٍ ولم يجادلني بعدها.

تحتوي لهجتنا الإماراتية على نسبة عالية من المفردات الفصيحة التي ذُكِرَت في المعاجم اللغوية ولا يستخدمها أهلنا في باقي دول الخليج العربي، ولهذا إذا سمعوا مفردة ليست في لهجتهم أنكروها وقالوا إنَّ لهجتكم غريبة، وبعضهم يتمادى ويقول: أنتم أبعد الناس عن الفصاحة! ونردُّ عليهم بأننا فصحاء جدًّا ولديَّ أمثلة كثيرة على ذلك لا تسعها هذه المقالة، ووجدت أكثر مَن ينتقدون قولنا: ”نرمس مع فلان“ وهي مفردة موجودة في العربية واستخدمها أهلنا قديماً للكلام الخاص بين اثنين أو مجموعة وبصوت خفي، ثمَّ جاء الجيل الحديث ولم يفرقوا بين الرمسة والكلام فجعلوا الرمسة لكل كلام، وهذا كما تعلمون جائز في تطوُّر اللغات. يقول صاحب لسان العرب: ”الرمس الصوت الخفي ورمس الخبر إذا كتمه“ وهذا هو المعنى المستخدم قديماً، وقد أضيف عليه أنَّ الرمسة تكون ليلاً، حيث يجتمع الناس فيسمرون، وقد يكون أصلها من الطيور الروامس وهي تطير ليلاً، وهذا أيضاً من باب المجاز الذي اشتهرت به جميع اللهجات العربية.

علينا أيها الأعزَّاء ألا ننتقدَ أو نعجبَ أو نسخرَ من أيِّ لهجة عربية؛ فقد تكون هي الصواب ولهجتنا هي الخطأ، وعلينا أيضاً التأكُّد من معاجم اللغة العربية قبل الوقوع في الانتقاد الذي لا يجوز، ونحن جميعاً نحملُ الهُوِيَّةَ العربيَّة.

زايد في عيون الإعلاميين

علي عبيد الهاملي*

كان زايد، عليه رحمة الله، يهتم بالإعلام منذ بدايات حكمه لإمارة أبوظبي، وكان الإعلام أيضاً يهتم به ويسعى إليه، وكانت انطباعات الصحافيين الذين أجروا مقابلات وحوارات معه في النصف الثاني من ستينيات القرن الماضي تنمُّ عن عظمة هذا القائد الفذّ، وتُعبِّر عن إعجابهم به. لنستمع مثلاً إلى شهادة الصحافي الهندي "كرانجيا" صاحب ومؤسِّس مجلة "بليتز" الهندية، الذي أجرى مع المغفور له الشيخ زايد، عليه رحمة الله، مقابلة نشرها في شهر يونيو عام 1970. يقول "كرانجيا" عن الشيخ زايد، طيب الله ثراه: "ليس هناك من بين كلِّ الشخصيات الباهرة التي ظهرت في عهد النهضة العظيم، الذي تشهده جميع دول الخليج بعد اكتشاف البترول، شخصيَّةٌ تُقَارَنُ بشخصية الشيخ زايد بن سلطان، حاكم أبوظبي، من حيث توافر عناصر القيادة الملهمة في روحه، ومن حيث نظرياته السياسية والاقتصادية التي يريدُ أن يطبِّقَها في المنطقة، ومن حيث إنجازاته الكثيرة التي تمَّت في وقت قصير للغاية. إنَّ حاكمَ أبوظبي يُمثِّلُ نهضةَ هذه المنطقة بشكل أخَّاذ، لدرجة أنني لم أستطِعْ مقاومة الكلام معه طوال ليلة بأكملها حتى ساعات الفجر، وكان ذلك بعد مأدبة العشاء التي أقامها في بيته المتواضع، بمناسبة زيارتي للإمارة".

ومثلما سعى "كرانجيا" لمقابلة الشيخ زايد، عليه رحمة الله، في بدايات حكمه لإمارة أبوظبي، سعى صحافيون وأجهزة إعلام عربية وأجنبية كثيرة لمقابلته أيضاً، وتنوَّعت لقاءاتهم معه بين صحفية وإذاعية وتلفزيونية، فقد كان التغيير الذي حدث في أبوظبي بمجيء الشيخ زايد، عليه رحمة الله، وتوليه سدة الحكم لافتاً ومثيراً لفضول الصحافة وأجهزة الإعلام التي كانت تراقب أحوال المنطقة عن بعد، ولم يكن ثمة إعلام في الإمارات في تلك المرحلة يعبِّر عمَّا يحدث وينقله إلى الخارج، اللهمَّ إلا إذاعة وحيدة أنشأها مكتب التطوير التابع لمجلس حكام الإمارات المتصالحة، ومجلة وحيدة كانت تصدر في دبي عن المكتبة العامة لبلدية دبي، سنأتي على ذكرهما عندما نتحدَّث عن نشأة الإعلام الإماراتي وتأسيسه على يد الشيخ زايد، عليه رحمة الله. لذلك سنجد مقابلات صحفية وإذاعية وتلفزيونية كثيرة للشيخ زايد، طيَّب الله ثراه، نشرتها صحف ومجلات عربية وأجنبية شكَّل لها مجيء زايد، عليه رحمة الله، في تلك المرحلة بزوغ فجر جديد في المنطقة، فجاءت تبحث عن فكر هذا الرجل البدوي ونظرته المستقبلية، والخطط التي كان يحملها لشعبه وإمارته، فاكتشفت أنه لا يحمل خططاً لإمارته فقط، وإنما لمجموعة الإمارات التي كان يُطَلَقُ عليها آنذاك إمارات السَّاحل المهادن، وتسمِّيها بعض المصادر الإمارات المتصالحة. بل إنه كان يحمل خططاً للإقليم الذي تقع فيه تلك الإمارات، وللوطن العربي كله، بفكره الوحدوي العروبي الأصيل، وطموحاته التي لا تحدُّها حدود، رغم محدودية الإمكانات في تلك

المرحلة، لكن زايد، عليه رحمة الله، لا تحدُّ طموحاته حدود، ولم تكن محدودية الإمكانات تحول دون تحقيقه لحلمه، منذ أن كان في مدينة العين، وحتى أصبح رئيساً لدولة الإمارات العربية المتحدة، التي كانت حلمه الأول وليس الأخير، فقد سعى بعدها إلى تأسيس مجلس التعاون الخليجي ونجح في ذلك، ليتم إعلان قيام المجلس من العاصمة أبوظبي بعد عشر سنوات من تأسيس دولة الاتحاد، ومضى بعد ذلك يسعى إلى توحيد الأمة العربية وحل خلافات دولها، فنجح مرات، وحالت ظروف كثيرة دون تحقيق مساعيه مرات أخرى، لكنه لم ييأس أبداً، حتى غادر دنيانا وهو يحمل معه هموم أمته.

إنَّ المتأمل للقضايا التي تطرَّق إليها، عليه رحمة الله، في تلك الأحاديث والمقابلات المبكرة، يجدها كثيرة ومتعددة؛ يأتي على رأسها المساعي التي كان يبذلها لإقامة دولة الاتحاد، وحرصه وعمله على بناء الوطن، ونظرته إلى الثروة وكيفية استغلالها، وفكرة الوحدة العربية التي شكَّلت هاجساً من هواجسه الدائمة. كما ظهرت في تلك الأحاديث فلسفته في الحكم والحياة. فالسلطة عنده ليست غاية، وإنما هي وسيلة لخدمة الناس، وتحقيق الرفاهية للشعب. ومصالح الوطن عنده أمانة يحملها على عاتقه، عليه أن يحافظ عليها، ويؤديها دون نقص أو خسران. يؤمن بأنَّ الحاكم، أي حاكم، ما وُجِدَ إلا ليحكم شعبه، ويوفِّر له سبل الرفاهية والتقدم، ومن أجل هذا الهدف يحب أن يعيش بين شعبه ليتحسَّس رغباته، ويعرف مشكلاته، ولن يتحقَّق له ذلك إذا عزل

المتأمل للقضايا التي تطرَّق إليها، رحمة الله يجد المساعي التي كان يبذلها لإقامة دولة الاتحاد، وحرصه وعمله على بناء الوطن، ونظرته إلى الثروة وكيفية استغلالها، وفكرة الوحدة العربية التي شكَّلت هاجساً من هواجسه الدائمة.

نفسه. يؤمن بالحرية، ويعدُّها هدفاً أساسياً يسعى إليه الإنسان، ولا يستطيع أن يعيش بدونه. كما يؤمن بتوزيع المسؤوليات وعدم احتكار السلطة، ولكن مع حسن اختيار المعاونين، ومتابعة عملهم للتأكد من أنهم يقومون بأداء واجبهم على الوجه الأفضل. همومه القومية في ضخامة وثقل همومه الوطنية. كان يرى أنَّ الله خلق الناس ليعيشوا مع بعضهم، بغض النظر عن مركزهم في الحياة. كان حالماً، لكن الفرق بينه وبين بقية الحالمين أنه استطاع أن يحوِّل الأحلامَ إلى حقائقَ على الأرض. لديه مقدرة عجيبة على كسب الأصدقاء ومضاعفة عددهم، وتحويل الخصوم إلى أصدقاء. يمتاز بالقدرة الفائقة على المبادرة لتغيير مجرى التاريخ، وعدم انتظار ما قد تأتي به الأيام، ثمَّ البحث عن أسلوب آخر للتعامل معه. كان يمزج بين المثل العليا والإنجازات العملية، كما كان يمتلك وضوح رؤية أدَّت إلى اتساق نظرته ومعالجته كلَّ الأمور والقضايا والمشكلات بحكمة وبصيرة ثاقبة. ليست لديه حساسية تمنعه من الحديث في أيِّ موضوع يعرف أبعاده. لا يحبُّ المناورات السياسية، فالسياسة عنده تطبيق عملي للمبدأ الذي ينادي به، وأيُّ انفصال بين الأقوال والأفعال ليس سوى خداع وكذب ونفاق. تلقائي وبسيط، تجلَّت تلقائيته في جميع اللقاءات التي أجريت معه.

هكذا بدا زايد، عليه رحمة الله، في عيون الإعلاميين ومن خلال عيونهم، فلله دره من قائد عظيم لا يتكرَّر.

كاتب من الإمارات*

40 عامـاً علـى رحيـل صقـر الرشـود

عمر قصير وحياة حافلة بالمنجزات المسرحية

حسين درويش

أمضى المخرج والممثل والمؤلف المسرحي الكويتي صقر الرشود، في الإمارات قرابة عشرة أشهر كانت كافية ليضع بصمته كمسرحي قدير على الحركة المسرحية الإماراتية، حيث أرسى قواعد أساسية في الحياة المسرحية منذ وصوله إلى الإمارات في مارس 1978 وحتى رحيله في 25 ديسمبر 1978 إثر حادث سير.

واجه الرشود فى مسيرة حياته القصيرة أزمة شخصية بسبب وفاة ابنه "نضال" عام 1969، ثمَّ كانت المأساة الثانية بفقده ابنه الثاني "فراس" عام 1975 أثناء استعدادات المسرح الأهلي لعرض مسرحية (علي جناح التبريزي وتابعه قفة) فى مهرجان دمشق، وقد سافر فى نفس يوم وفاة ابنه وقدم مسرحيته مع رفاقه دون علم منهم بما حدث إلا بعد انتهاء العرض.

وفى 25 ديسمبر 1978 تعرَّض الرشود لحادث سيارة تسبب فى وفاته عن عمر يناهز السابعة والثلاثين، وترك ثلاث بنات وولداً واحداً (سلمان توفي عام 2008) وفقد المسرح الكويتي والخليجي والعربي برحيل صقر الرشود، واحداً من أنشط الذين عملوا فى هذا الحقل. وتمَّ دفنه فى الكويت واشترك فى تشييع جثمانه نخبة من رفاق دربه وعشَّاق فنه وقد تقدَّم موكب التشييع الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح.

10 أشهر

لم تكن فترة عمل صقر الرشود في الإمارات طويلة (كان خبيراً لشؤون المسرح فى وزارة الإعلام) كما أنه لم يترك إبداعات مسرحية مكتوبة، جراء انشغاله بتعرُّف التربة المسرحية المحلية عبر أسماء المسرحيين المحليين والفرق المسرحية الناهضة في بقعة جغرافية متعطشة لعموم الثقافة وفي مختلف الحقول، ومازال حضور صقر الرشود يسحب ظلاله على واقع المسرح المحلي إلى اليوم، ومازال المسرحيون في الإمارات يرفعون القبعة له عالياً.

يذكر أنَّ وزارة الإعلام في الإمارات العربية المتحدة استقدمت، عدداً من المخرجين المسرحيين العرب، الذين أثروا الساحة خلال فترة عملهم التأسيسية المهمة، منهم: خليفة العريفي، عبدالكريم عوض، فاروق أوهان، فاضل الزعبي، الريح عبدالقادر، الأمين جماع، يحيى الحاج، فتحي دياب، إبراهيم جلال وصقر الرشود، الذي كان واحداً من المسرحيين العرب القلائل الذين تصدوا لنقد الواقع الاجتماعي بكل جرأة وحرفنة من خلال فهمه لمعطيات المسرح، وخاصة أنه كان مخرجاً لجميع ما قام بتأليفه من مسرحيات.

سندباد المسرح

ولد صقر الرشود في 11 يونيو 1941 في منطقة شرق بالكويت، وقد قضى طفولته متنقلاً بين عدد من الدول فغادر إلى البحرين والهند وباكستان والسعودية، تلقى تعليمه في السعودية في المدينة المنورة عام 1950 واستقر فيها مع عائلته هناك، وفي عام 1956 عاد إلى الكويت والتحق بكلية الصناعة ولكنه تركها، وفي عام 1967 حصل على الشهادة المتوسطة بعد عودته إلى الدراسة، ثمَّ حصل على الشهادة الثانوية من البحرين في عام 1969، والتحق بجامعة الكويت قسم العلوم السياسية وحصل على شهادته الجامعية في عام 1974 بتقدير جيد جداً.

لعب الرشود دوراً بارزاً في المسرح الكويتي تلك الفترة، حيث أخرج وألَّف ومثَّل 23 مسرحية، وقد شارك صديقه

المسرحي الكويتي عبد العزيز السريع في تأليف مسرحية «بحمدون المحطة»، وإضافة إلى المسرح، كان يعمل في وزارة التربية والتعليم، ثمَّ وزارة الإعلام في الكويت، وقد قام بكتابة أول مسرحية كويتية غير ارتجالية في عام 1960 وهي مسرحية "تقاليد" التي تعدُّ أول مسرحية مكتوبة بعد التخلي عن المسرح الارتجالي.

بصمة واضحة

وأثناء وجوده في الإمارات قدَّم العديد من الأعمال المسرحية من بينها: "شمس النهار" في إمارة أبوظبي، وأخرجها بناءً على دعوة من عبدالرحمن الصالح، وكانت المسرحية الأولى التي تُبَثُّ على الهواء مباشرةً على شاشة تلفزيون أبوظبي، كما قدَّمها مع مسرح الشارقة الوطني أثناء وجوده في الشارقة، وكذلك مسرحية "السندباد" التي قدمتها فرقة مسرح الإمارات القومي، مثلما قدَّمت له أيضاً "الأول تحول". ومن بين أعماله التي اشتهر بها على نطاق عربي واسع، مسرحية "حفلة على الخازوق" التي أعاد إخراجها أكثر من مرة، و"علي جناح التبريزي وتابعه" التي حازت جائزة أفضل عرض مسرحي في مهرجان دمشق المسرحي الخامس عام 1975، وهي مسرحية مصرية من تأليف

> **بصمة واضحة على الحياة المسرحية في الخليج العربي**

الكاتب المصري الراحل الفريد فرج، وقد عرضت أول مرة على خشبة المسرح القومى بالقاهرة عام 1969، وقد كان طاقم العمل بها مكوناً من عبد المنعم إبراهيم، أبوبكر عزت، فيفى يوسف، مجدى وهبة، مكرم المصرى، عبد الغنى ناصر، عبد الوهاب خليل ، عبد الهادى أنور و قام بإخراجها محمد أبو الفتوح وسعد اردش .ومُثلت مرة أخرى في الكويت من قبل فرقة مسرح كويتية وعرضت في الكويت عام 1975 وكانت من بطولة غانم الصالح ومحمد المنصور وسعاد عبد الله وإبراهيم الصلال ومريم الغضبان، ومن إخراج صقر الرشود، واحتلت المسرحية وكاتبها مكانة في الخليج العربي، وتتناول المسرحية شخصيتان من شخصيات ألف ليلة وليلة صاغ منهما المؤلف قصة مستقلة ليعالج بها غرضاً معيناً. وكان صقر قد حاز جائزة أفضل مخرج مسرحي في دورة سابقة من المهرجان نفسه.

شغف مبكر

ويعود شغف الفنان الرشود بالمسرح إلى بدايات عام 1958، حيث أخذ يتردد على مسرح محمد النشمي الذى كان يقدِّم المسرحيات بصورة مرتجلة، وهو لم يتجاوز الـ 17 عاماً. وعندما بلغ 19 عاماً بدأ أولى خطواته المسرحية بكتابة مسرحية (تقاليد) للمسرح الشعبي، وذلك فى عام 1960. وكانت مسرحية (تقاليد) أولى أعماله المكتوبة حيث سجَّلت نهاية المسرح المرتجل، وقد تولَّى الرشود إخراج المسرحية أما دور البطولة فقد اضطلع به الفنان الراحل النشمي.

وسعى الرشود إلى تشكيل فرقة مسرحية خاصة به، وتعاون معه نخبة من زملائه بتأسيس فرقة المسرح الوطني حيث قدَّم الرشود ثاني أعماله وهى مسرحية (فتحنا) عام 1962، إلا أنَّ الفرقة انتهت بعد تقديم هذا العمل. وفى عام 1963 شارك الرشود فى تأسيس مسرح الخليج العربي، وقدَّم له كلَّ جهده وفنه، حيث كان المؤلف والمخرج والمعد لأعماله طوال سنوات التأسيس.

من أبرز أعماله الإخراجية: بحمدون المحطة، الأسرة الضائعة، الخطأ والفضيحة، أنا والأيام والجوع، المخلب الكبير، الطين، لمن القرار الأخير، بخور أم جاسم، الجرة الأول تحول، شياطين ليلة الجمعة، حفلة على الخازوق، علي جناح التبريزي، شمس النهار، عريس بنت السلطان، و"1،2،3،4 بم"، وهي من تأليف عبدالعزيز السريع، عرضت على مسرح كيفان، وشاركت في مهرجان دمشق للفنون المسرحية عام 1972، وهي من إنتاج موسم فرقة مسرح الخليج العربي وعرضت مرة ثانية في بداية عام 1979. تصدت المسرحية لمشكلة الصراع بين المحافظة على العادات والتقاليد القديمة، وبين التغير الاجتماعي ومواكبة الواقع ومعاصرة التقدم والتطور الحضاري.

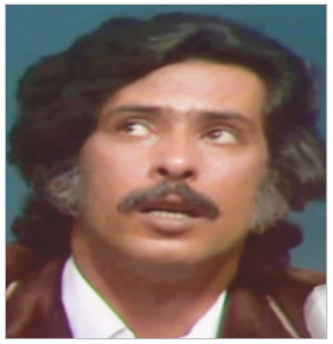

صقر الرشود

> **23 عملاً مسرحياً من رصيده جعلته من أبرز المؤسسين لمسرح الواقع**

ازدهار الحلم

كان المسرح فى عهد صقر الرشود زاهراً، والفرق المسرحية الكويتية تقدِّم عروضها فى العواصم والمدن العربية، واستطاعت فرقة مسرح الخليج العربي أن تعرض مسرحية (الحاجز) فى القاهرة عام 1966 و(نعجة في المحكمة) و(بخور أم جاسم) في البحرين عام 1970 و(الدرجة الرابعة) في دمشق والقاهرة عام 1971 و(1.2.3.4بم) فى البحرين والإمارات ودمشق عام 1972 و (شياطين ليلة الجمعة) في مهرجان المغرب المسرحي عام 1974 ومسرحية (الواوي) فى قطر والإمارات والبحرين عام 1976 و(حفلة على الخازوق) في مهرجان دمشق المسرحي عام 1977، ثمَّ في القاهرة فى العام التالي، ومسرحية (عريس لبنت السلطان) ضمن الأسبوع الثقافي الكويتي فى كل من الجزائر وليبيا عام 1978.

وفي شهادة للأديب المصري الراحل يوسف إدريس وردت في سلسلة مقالات حواها كتاب له عنوانه «شاهد عصره» تحدَّث إدريس بإعجاب شديد عن النهضة المسرحية في الكويت آنذاك، والدور التنويري الذي يضطلع به المسرح، متوقفاً، خاصة، أمام اسم ودور صقر الرشود، حيث أشار إلى مسرحية «الطين أو الإسمنت» من تأليف الرشود الذي وصفه بأنه «شاب لم يتعدَّ الثلاثين ممتلئ بالحيوية والحماس، شديد التطلع والطموح».

نجد قبل 250 سنة

ازدهار يدحض الآراء حول فترة معتمة في نظر المؤرخين

حين تُذكَر نجد يتبادر إلى الأذهان جماليات هذه البقعة الجغرافية في موروث الشعر العربي، فهذه البيئة الغنية بتراثها وحكاياتها شكَّلت مساحة واسعة من تراث الجزيرة العربية المتداول على ألسنة الرواة، والمكتوب في متون التدوين، في كتابه الموسوم بـ «نجد قبل 250 سنة» يفتح الدكتور محمد بن سعد الشويعر نافذة تتيح إطلالة على الحياة العلمية والثقافية والاجتماعية والسياسية في نجد قبل قرنين من الزمن، ويلقي الضوء على حقبة طالها التعتيم لقلة المصادر التي ترصد الأحداث، لكنها لم تكن بمعزل عن الازدهار الحضاري.

هذا الكتاب الصادر عن دار النخيل للنشر في العاصمة السعودية الرياض، نشرت طبعته الأولى سنة 1992، وجاء في 142 صفحة من الحجم المتوسط، سبر فيه المؤلف المظاهر الحضارية في هذه المنطقة، من خلال نظرة عامة على نماذج من المعالم الأثرية كالقلاع والحصون والبناء والتعمير، إضافة إلى قراءة في الإنجازات العلمية ونشاط التأليف والعلماء وازدهار المكتبات في نجد وأوقافها.

فجوة تاريخية

وذكر المؤلف أنَّ الكتاب ما هو إلى نتف، اختارها لدحض آراء من يقولون إنَّ المنطقة بعيدة كل البعد عن الحضارة، ولم تكن سوى قفار للعابرين من البدو في بحثهم عن الكلأ والمرعى، إذ في تاريخ المنطقة فجوة كبيرة فيما بين الدولة العباسية وقيام الدولة السعودية الأولى 1158 هـ، ما جعل الجزيرة العربية عموماً ونجد بصفة خاصة، تعيش فترة تاريخية معتمة في نظر المؤرخين، نتيجة لضعف المصدر الذي تُستَقَى منه الوقائع، فخلال حكم القرامطة (317 – 470 هـ) كما بيّن الكاتب أُسْدِل ستار قاتم على المنطقة حجزت بموجبه المعلومات التاريخية، بسبب سياسات هذه الدولة، اللهم إلا النزر اليسير مما يتناقله الرواة عبر أماكن متناثرة، ما جعل بعض الباحثين – وأكثرهم من الغربيين – يصفون المنطقة بشظف العيش، وينعتون سكانها بالتقاتل لأتفه الأسباب، ويرى مؤلف الكتاب أنَّ هذه الأحكام لا يجب التسليم بها بمجرد إطلاقها، ولا ينبغي مرورها من دون تمحيص وموازنة، كما يأخذ على الرحالة ناصر خسرو نقله أيضاً لهذه الصورة، حيث بدأ رحلته بعد نهاية الحج من عام 442 هـ، الموافق 10 مايو 1051 م، وقد زار أجزاءً كبيرة من منطقة نجد، لكنه تحدَّث بإيجاز عنها.

تعمير المدن

ويورد المؤلف أنَّ نجد كثرت فيها بصورة عامة، حركة وإنشاء تعمير المدن والقرى في الفترة ما بين القرن الثامن، حتى بدء دعوة محمد بن عبد الوهاب، والتحامها مع آل سعود، على يد الإمام محمد بن سعود، في تكوين دولة منظمة، ومن هذا الجانب يستطرد المؤلف بأننا لا نستطيع أن نعتبر المنطقة خالية من الأحداث التاريخية، ولا من مقومات الحضارة لتوافر أسبابها.

ويستنتج الكاتب من واقع النصوص التاريخية أنَّ منطقة اليمامة، خاصة الرياض وما حولها ونجد بصفة عامة، قد بدأت تزدهر من جديد، وتأخذ طابع الاستقرار، بعد انعزالها بسبب الأحداث التي انصبت عليها فترة من الزمن، ولبعدها عن مقر الخلافة من ناحية أخرى فأهملت، وقد ذكرت سدوس القريبة من الرياض في الكثير من المراجع التاريخية بجودة صناعتها ووفرة ثمار زراعتها، ومن ذلك ما كتبه ياقوت الحموي (574 – 626 هـ).

> **الدّارسون تناولوا هذه الحقبة بالقليل من التفصيل شابه الكثير من اللبس**

ومن المدن التي ذكرها الكتاب مدينة الدرعية، التي ذكر أنه مرَّ بها زمان كان بها أربعمائة عالم، كلهم كانوا من أهل القضاء، فالحضارة لا يقيمها إلا الرجال المتعلمون، وتتكيف بحسب الوضع المعيشي، والاستقرار الاجتماعي، ومن هنا فإنَّ الرغبة في التملك، والانتقال من مكان إلى مكان، لم تأتِ إلا بعد وفرة أهم مقومات الحياة، وهو الماء الذي هو قوام الحياة، فالوفرة المالية كانت خلف رغبة الناس في الإعمار الزراعي، وبناء المدن، فعام 770 هـ كان زمناً لبناء بلدة حرمة المجاورة للمجمعة، فغرسها وعمرها إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائلي، وسكنها مع كثير من قرابته وأتباعه.

وفي عام 820 هـ تمَّ تعمير المجمعة، وقصة هذا هو أنَّ أول من سكنها عبدالله الشمري، ثمَّ وفد إليها الناس وتكاثروا عنده، حيث شجَّعهم بالسكنى إلى جواره، وذلك بإقطاعهم أراض، ومدهم بالممتلكات، فقامت منذ ذلك الوقت بلدة قوية تزخر بالمعرفة ورواد العلم.

وعن تاريخ الرياض أورد الشيخ حمد الجاسر أشياء تدل على قوة بشرية متوافرة، وقاعدة حضارية موجودة في حديثه عن حجر اليمامة، التي كانت عبارة عن حارات متعددة، ثمَّ تناثرت المساكن فيها مع الحوادث، إلى أن أصبحت قرى متكاثرة.

إضافة إلى بلدة التويم، ومنطقة الوشم، ويورد الكتاب في حديثه عن الوشم ما قاله الزبيدي (1145 – 1205 هـ) في تاج العروس نقلاً عن ياقوت الحموي (574 – 626 هـ) عن بدوي من تلك الناحية: أنَّ الوشم خمس قرى عليها سور من لبن، وفيها زروع ونخيل، والقرية الجامعة فيها ثرمداء.

كما ذكرت معاجم جغرافية وجود مدينتين كبيرتين في القصيم، وأفاضت في وصفهما الحضاري والعلمي، وهما عنيزة وبريدة، كما ذكرت قنوات حريملاء وأفلاجها البديعة.

علم وعلماء

ويشرح كتاب "نجد قبل 250 سنة" أنه مع بناء المدن وإعمار البلدان، شكَّلت مؤثرات جذبت الناس إلى تغيير منهج حياتهم المتنقلة، ومسببات حركت في نفوسهم

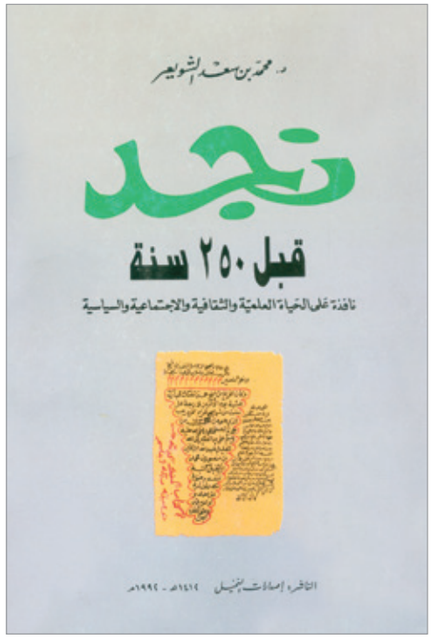

الاستقرار، فكان لذلك نتائج ملموسة، فالنفس عندما تهدأ، والفكر عندما يرتاح فإنهما لا بدَّ أن يتحركا من أجل عمل آخر، فتهيَّأت الأسباب للاستزادة من العلم وطلب المعرفة.

ويرصد الباحثون معلومات عن أسر فيها بأكملها، تعدُّ منبع علم، ومجمع معرفة، حيث عرفت نجد بازدهار علمي ووفرة في الوفود من الرجال المسافرة إليها طلباً للعلم.

واشتهرت بعض المدن بالعلم، كأشيقر، التي زخرت بالفقهاء، حتى كان يجتمع في الوقت الواحد منهم أربعون عالماً، كلهم يصلحون للقضاء، يوم كان القضاء لايصل إليه، ويبلغ مرتبته إلا فطاحل العلماء وكبارهم. ووجد العلماء في مدينة العيينة وكثروا بها، حتى كان

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

صورة مُغايرة نقلها بعض الباحثين والرحالة من ضمنهم ناصر خسرو

يجتمع منهم ما يزيد على الثمانين عالماً، حسب الرواة، يدرسون العلم في جوامعها في زمن واحد.

ومن المظاهر العلمية انتشار المكتبات وأوقافها، فالمتتبع لسير وتراجم الرجالات العلمية، في الفترة الزمنية التي نتحدث عنها، يدرك أن هناك أسراً عرفت بالتسلسل العلمي، وتوارث الاهتمام بالمعرفة، وقد التزموا وحافظوا على أسباب العلم، رغم المشقة وندرة الوسائل في ذلك الوقت، من ناحية شح الورق والأحبار والأقلام.

ومع ذلك يذكر المؤلف تدوين أكثر من 28 مؤلفاً في ذلك الوقت، مع زهدهم في التأليف، وكان أغلبها في علوم الفقه، كما شاعت الأوقاف العلمية، وذلك يعطي صورة عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية.

الحصون والقلاع

ومن ناحية التحصينات والقلاع، يفرد الكاتب حديثاً لأنماط متعددة من الحصون في نجد قبل 250 سنة، من ضمنها أسوار تحمي المدن والقرى، وخنادق خلف الأسوار، وكذلك أسوار ومقاصير متكاثرة في أسوار المزارع، وأركان القصور، وعلى بوابات المدن، وقد كانت كل هذه الأساليب الدفاعية جديدة على أبناء الصحراء، استفادوها من أمم أخرى خلال الفتوحات الإسلامية، وأقاموها لحماية أنفسهم وممتلكاتهم في أماكن تجمعاتهم وحواضرهم من الأمم الأخرى مع احتكاكهم بها، واستفادتهم من طريقتهم في منهج الوقاية، وأساليب الحياة المستقرة.

ففي عالية نجد ذكر في القرن الحادي عشر الهجري، قصر لعجل بن حنيتم، شيخ آل المغيرة، الذين كان لهم صولة وجولة في المنطقة، كما كانت الأعراب تنزل بجواره وتحتمي به، كما ذكر قصوراً منيعة في مدينة جلاجل بسدير، كما ذكر الهمداني (280 – 334 هـ) في وصفه منطقة العروض من جزيرة العرب، وخاصة الفلج، فقد ذكر مدناً ذات أسوار عظيمة، إلى جانب أكثر من أربعين حصناً، كما أنَّ هناك إشارات لبعض الحصون والقلاع في منطقة الجوف.

صناعات نجد

كما اشتهرت الصناعة، كجزء مرافق من تطور البلدات في ظل الاستقرار في نجد، منها النجارة والحدادة والصناعات الفخارية والنحاسية، وصياغة الذهب والفضة، ويذكر الهمداني (280 – 334 هـ) في كتابه (صفة جزيرة العرب) أسماء أماكن عرفت بالمعادن، وتبلغ هذه المواضع مقرونة بأنواع المعادن ووفق أسمائها 22 موضعاً، حيث يبيّن في ذلك أن أغلب أماكن التعدين في اليمامة (منطقة الرياض حالياً) حيث سكنتها وما حولها قبائل عرفت بامتهان الصناعة، كباهلة وبني أسد، وبني سليم.

كما اشتهرت ثرمداء بصفة خاصة، والوشم بصفة عامة، بنسج البُرْد، وهو جمع بُرْد (نوع من الأكسية الجيدة) إذ بلغت تلك الصناعة شأناً كبيراً، تعدَّى حدود الإنتاج المحلي، إلى الشهرة والتصدير، جودة وكثرة، إلى المناطق الأخرى.

وهذا قليل من كثير جاء بين سطور كتاب (نجد قبل 250 سنة) لمؤلفه الدكتور محمد بن سعد الشويعر، درس المظاهر العلمية والثقافية والعمرانية في نجد، خلال فترة تاريخية محددة، تناولتها المراجع التاريخية بالقليل من التفصيل والكثير من اللبس، فنفض الغبار عنها، مستنداً إلى مخطوطات ومرويات وكتب أضاءت على هذه الفترة.

القصائد المسماة في الشعر النبطي

الشيخة، الذهبية، الدامغة، الروضة، القرنفلية، معجبة

قاسم بن خلف الرويس*

ظهر في أوساط الشعر الشعبي منذ فترة قديمة نسبيًّا تقليد (تسمية القصيدة)، فعندما يتداول الناس قصيدة معينة، يصبح أمرُ تعريفها باسم معين تشتهر به أمراً في غاية الأهمية، حيث إنه يشكِّل لوحةً دعائية للقصيدة في زمن اللادعاية، ورغم ذلك ظلَّ أمرُ اكتساب الاسم للقصيدة محصوراً على قصائد محدودة أشبه بالمعلقات في تميزها بجودة السبك والحبك، وعمق المعاني وجزالة الألفاظ، الأمر الذي جعلها تُقَدَّمُ على سائر القصائد النبطية. واستمر هذا التقليد إلى وقت قريب، ومن هذه القصائد قصيدة الروضة لراشد الخلاوي، وقصيدة الفرقد للشعيبي، وقصيدة الخلوج للعوني، وقصيدة الشيخة للنجدي وغيرها.

طريقة تسمية القصيدة

أولاً: الذي يطلق الاسم على القصيدة إمَّا أن يكون الشاعر نفسه، وهذا أمر نادر، وإمَّا أن يكون الشعراء الآخرون والنقَّاد والمهتمون بالشعر، أو الناس بصفة عامة، وربما يتكرر الاسم لأكثر من قصيدة إذا كان يهدف إلى الثناء على القصيدة وإبرازها، ولذلك فلا غرابة أن نجد ثلاثاً أو أربعاً يطلق عليها اسم (الشيخة) مثلاً.

ثانياً: تسمية القصيدة يعتمد على أمور عدة منها:

أ ـ تسمية شاعرها لها، كقصيدة (معجبة) للشاعر إبراهيم بن جعيثن.

ب ـ موضوع القصيدة، حيث يكون سبباً في تسمية القصيدة باسم فخم يدلُّ على الجودة مثل قصيدة (الشيخة) للنجدي أو (الذهبية) للسمين، كما قد يكون موضوعها وصفاً لها، كقصيدة (الخلوج) للعوني وغيرها.

ج ـ وجود لفظ مميز غير متداول، فيلفت الأنظار للقصيدة فتشتهر به، ثمَّ يغلب عليها فتسمَّى به مثل قصيدة (الفرقدا) للشعيبي أو (القرنفلية) لنفس الشاعر.

د ـ النتيجة التي أدَّت إليها القصيدة، وذلك أنَّ بعض القصائد قد تكون سبباً في حدث معين مثل قصيدة (مرضية) للشاعر سند الحشار الظفيري، التي كانت سبباً في الصلح بين فخذين من قبيلته، وكذلك قصيدة (موصّلة) لنبهان السنيدي وغيرها.

نماذج من القصائد المسماة

وسنعرض هنا نموذجاً واحداً لكل عنصر من العناصر المذكورة في "ثانياً" مقرونة بنبذة مختصرة عن شاعرها، وسبب تسميتها، وعدد من أبياتها:

1 ـ قصيدة (معجبة): للشاعر إبراهيم بن عبدالله بن جعيثن، من شعراء نجد البارزين، عالج في شعره أحوال زمنه الاجتماعية على طريقة حميدان الشويعر، ويعدُّ من المكثرين، وله ابتكارات جميلة في قصائده، قال بعض القصائد الفصحى رغم أُمِّيَّتِهِ، عاش مزارعاً ونجاراً في بلده التويم من سدير، وسافر طلباً للعيش إلى البحرين والكويت والعراق، ولد سنة 1260هـ وتوفي 1362هـ؛ فعمَّر فوق المئة. وقصيدته هذه هو الذي سمَّاها بهذا الاسم، ربما لورود هذه المفردة في الشطر الأول من البيت الثاني، وقال مؤلف ديوانه: "وهي كاسمها، فيها من العجائب ما يجعلها من عيون شعره" جاءت في 60 بيتاً، وقال في مطلعها، حيث بدأها بمقدمة تشويقية جميلة صاغها كحوار بينه وبين القصيدة:

تاهت ولبست بزها وذهوبها
زارت ودرت من الفكر دالوبها
قالت تراني معجبة ياصاحي
والناس تصفي للذهين اقلوبها
دهشت مابين الفرح والروعة
بالليل مادري ويش هو مطلوبها
تقول صر من ما تحاذر آمن
مستورة جت في قضيا نوبها
قلت استحي ما ذنب وقت مواصل
معيشة ضنك وشد حروبها

2 ـ القصيدة (الذهبية): للشاعر عامر السمين وورد في شعره إشارة إلى اسم أبيه سلطان، وإشارة إلى نسبه إلى بني عبدالحميد بن مدرك. ويرى العريفي بذلك أنه من قبيلة جنب التي منها عبيدة القبيلة القحطانية المشهورة، ويظهر أنه من شعراء القرن العاشر، وأنه سكن ملهم وزار الأحساء لصلته بالجبريين، ومكة لصلته بالأشراف، وقصيدته المسماة بالذهبية ذات البحر الطويل هي في مدح بركات الشريف وردت في مصادر الشعر الشعبي المخطوطة والمطبوعة على اختلاف في عدد أبياتها في حين أوردها العريفي الذي قام بتحقيقها وشرحها في 75 بيتاً جاء في مطلع القصيدة:

لمن طلل بين الخمائل والخالي
خلا وخوى واختلا منزله خالي
دريس منيس لا انيس بربعها
خلت ما سوى السرحان والريل الرالي
تنكر من العهد الذي كنت خابر
وغيّر صروف البين من حالها حالي
عفت من كثر ودق السحاب والسفا
الى سجعت في سفحها الريح ذيالي
خليليّ من عليا عقيل وعامر
أرى بكم انضا عن الدرب ميال

4 ـ القصيدة (القرنفلية): للشاعر الشعيبي في مدح بركات الشريف (الفهيد 8 :132) وجاءت في الخيار 85 بيتاً ومنها:

اطلب لها اطلال الديار الممحلي
يعتادها نو السعود المقبلي
بالدلو هطال السحايب مدّيم
سحب لكن السيوف بها تللي
وصف الخيال لكن بجنباته
طبل بسيرات الملوك يزلزلي
يسقي ديار جل في عرصاتها
سو البلا وامست بلاقيع خلي
دار لحسنا بين سيطان اللوا
والسر والضاحي وبين مجزلي

وسميت بذلك لقوله فيها:

حسنا وهي من دون معشر حيها
تكسي المتون بوارد متعثكلي
يغذا على طيب الجمال بما غلا
مسك وريحان معا قرنفلي

4 ـ القصيدة (الموصّلة): هذه القصيدة ذكرها مؤلف كتاب من شعراء عنيزة الشعبيون منسوبة إلى الشاعر نبهان السنيدي (من موالي المشاعيب أمراء عنيزة) الذي قال إنه عاش في القرن الثاني عشر؛ إذ إنه يستنهض فيها المشاعيب الذين كان بينهم وبين آل بكر أبناء عمومتهم منافسة على إمارة عنيزة، وبالفعل استرد المشاعيب الإمارة، وكانوا قد أخرجوا عن عنيزة إلى العوشزية، وترد القصيدة في عدد من المصادر المخطوطة والمطبوعة ممَّا يدلُّ على شيوعها والاهتمام بها، وترد القصيدة في 38 بيتاً ومطلعها:

يقول (نبهان السنيدي) بدا النبا
من القيل عدلا القوافي نجيبه
صعب على غيري إلى راد مثلها
والأمثال حلياها تلقى نصيبه
مولفه مانيب باغي رفاده
باغ بأيام اللقا نقتضي به
مولفه والعين غرقى من البكا
دمع على الأوجان عجل صبيبه
لحيث بان لي الجفا من رفاقتي
أشوف الخنا بالعين ثم اغتضي به

ومنها :

وأنا اليوم في راسي على زورة العدا
هيام عساني باللقا انتخي به

وأنا والمشاعيب العصاة على العدا
مشاعيب بأيام اللقا ننتخي به

إلى اقفوا فلا ولاد المشاعيب ردة
على الضد شروا الضان وإن شاف ذيبه

والحقيقة، أنه بالنظر إلى القصائد المسماة الشهيرة، نلاحظ أنَّ هذه القصائد تستحق أن تفرد بأسماء خاصة تميزها عن غيرها من قصائد الشعراء أنفسهم أولاً، وقصائد غيرهم ثانياً، ونحمد الله أنَّ هذا التقليد قد تلاشى، وإلا لأصبحت نصف قصائد الساحة الشعبية اليوم ما بين شيخة وذهبية ودامغة في ظل إعجاب أغلب الشعراء الشباب بأنفسهم، والتطبيل لهم من قِبَل من يظنون أنهم أوصياء على الساحة الشعبية، ووكلاء الذوق العام فيها.

كاتب من السعودية*

جميـــرا.. ودلالاتهـــا المعرفية

صـورة رائعـة تلـك التـي بقيـت عالقـة بيـن معـرض صـوري الخالـدة، لكـن حقيقتهـا غابـت عنّـا، ولـن تعـود مـرة ثانيـة بعـد أن تغيَّـر كلُّ شـيء فـي منطقتنـا الجميلـة بـكل تفاصيلهـا. إنها "جميرا"، تلك المنطقة الجميلة التي تغيَّر وجهها وتحولت إلى وجهة سياحية وتجارية، بعد أن كانت فقط سكناً للأسر الكريمة التي تعيش فيها منذ زمن بعيد، ومكاناً مهمًّا لصيد سمك السردين الـذي يُعْـرَف لدينـا باسـم "العومـة".

صـورة لا أسـتطيع نسـيانها، وذاكرتـي تسـترجع تفاصيلهـا الخلابـة؛ البحـر السـاحر يعـزف بلحـن شـرقي يجـذب النـاس مـن حولـه، وسـيفه العجيب يضع أصدافه على أذني لأسمع كلماته، والمطر يهطـل رذاذاً بهـدوء، والشـمس محتجبـة خلـف السـحاب، وهنـاك النخيـل ترقـص أغصانـه فرحـاً، والأطفـال فـي مـرح وصخـب يجـرون هنـا وهنـاك.

عـدت حينئـذ لأجـد والدتـي في البيـت وثيابـي مبللـة بالمطـر، وأحمـل طيـراً مـن طيـور البحـر نسميه (الحريشة) صنعته بأدوات بدائية نصنعها بأنفسـنا، فسألتها عـن معنـى اسـم "جميـرا" فقالـت: ومـا علمـي بـه، ولكنهـم يقولـون إنَّ رمالهـا حـارة جـدًّا في الصيف كأنها الجمر، ولهذا سماها أهلنا "جميرا"، فانتبهت جدتي رحمها الله لتفسيرها، فقالت: يا بني هذه الأسماء توارثها الناس قديماً فلا تشغل بالك بها، ونحن أيضاً لـم نعِـشْ فـي زمانهـم لنعـرف سـبب التسـمية! قلت لها: لا بـدَّ أن تخبريني، فقالت: يقولون: إنَّ رمالها من شدة البياض تسفر مساء كالقمر ولا يوجد مكان مثلها قريب يشبهها، وبهذه العلامة يعرفها أهل البحر، فسموها "جميرا".

سمعتُ ما قالته لي والدتي، حفظها الله، وجدتي، رحمها الله، عـن سرِّ تسـمية منطقتنـا الجميلـة "جميـرا" بهـذا الاسـم، ولكنـي لـم أقتنـع بتفسـيرهما، وأنـا منـذ طفولتـي أحـبُّ الاستفسـارَ والسُّـؤالَ عـن كلِّ شـيء لا أعرفـه.. ومـن ذلـك الوقـت وأنـا كلَّمـا وجـدت شـهْربةً أو شـهْرباً طاعنـاً فـي السـنّ وممَّـن يُعْـرَفُ بالروايـة وهـو ثقـة فـي نقلـه، فـلا أتـردَّدُ فـي سـؤاله عـن سـرِّ التسمية، ولكن العجيب أنَّ كلَّ الإجابات لا تتجاوز التفسـيرين السـابقين، فهـي إمَّـا سُـمِّيَت بذلـك لحـرارة رملها وكأنها الجمر، أو لأنَّ رملها من شدة بياضـه يسـفر كالقمـرة لأهـل البحـر فيعرفونهـا بهـذه العلامـة، ولهـذا سـأحاول تصويـب أحـد التفسـيرين.

الاشتقاق الأول

لمناقشة التفسير الأول، وهل اسم "جميرا" مشـتق مـن "الجمـر" بسـبب حـرارة رمالهـا كمـا يقـول بذلـك كثيـر مـن كبـار السـن الذيـن أدركتهـم؟ فنقـول: هـذا التفسـير قـد يصـحُّ بسـبب تشـابه الحـروف والواقـع الجيولوجـي للمنطقـة، ولكـن يضعفـه مـا يلـي:

أولاً: الرمـال الصحراويـة كلهـا حـارة في وقـت الصيـف، فـي "جميـرا" وفـي أي مـكان مـن إمـارة "دبـي" أو الإمـارات أو أي أرض أخـرى صحراويـة، فلماذا لـم تُسَـمَّ أرضٌ غيـر منطقـة "جميـرا" بهـذا الاسـم وهنـاك مناطـق فـي الصحـراء أشـدُّ حـرارة منهـا؟!

ثانيـاً: لا نقـول فـي لهجتنـا "جمـرة" وإنمـا نبـدل الجيـم يـاءً فنقـول "يمـرة"، وإذا تمَّ تصغيرهـا صُغِّـرت بالياء ولـو كانـت "جميـرا" مـن "الجمـر" فسـتكون "يميـرا" كمـا نقـول: يبـل للجبـل ويمـل للجمـل، وغيرهـا كثيـر ممـا هـو معـروف فـي لهجتنـا، وأيضـاً فـي لهجـة بعـض أهـل البحريـن والكويـت وغيرهـم مـن أهالـي الخليـج العربـي الذيـن يشـاركوننا فيهـا كمـا هـو معـروف.

وعلـى هـذا فـإنّ هـذا التفسـير بعيـد عـن التفسـير الأقـرب الـذي نبحـث عنـه.

الاشتقاق الثاني

قالـوا إنَّ اسـم "جميـرا" مشتق من "القمرة" بسبب شدة بيـاض رملهـا وسـطوعه للقادميـن مـن البحـر، وهـو الاشـتقاق الأقـرب إلـى قلبـي؛ لأنَّ آلات البحـث والتفكيـر لـديَّ تقربـه جـداً، ولكـن لا ألـزم بـه أحداً؛ لأنـه رأيٌ يؤكـد مـا قالـه السـابقون مـن أهـل الروايـة، ويقوّيـه مـا يلـي:

أولاً: رمـال "جميـرا" الطبيعيـة البيضـاء السـاطعة فـي الليـل كالليلـة القمَـرة، والعـرب تقـول: ليلـة مقمـرة وقمـراء وقمَـرة إذا كانـت مسـفرة، وقـد وصفـوا كثيـراً بـه فقالـوا: سـحابٌ أقمـر أي شـديد الضـوء وأتـان (حمـارة) قمـراء بيضـاء.. وهكـذا. ومـن المعـروف أن "جميـرا" كان سـيفها (شـاطئها) مشـهوراً بهـذا السـطوع قديمـاً، قبـل أن يتـم تغييـره برمـلٍ ليـس مـن أرضهـا منـذ سـنوات، فذهـب ذلـك الشـاطئ السـاحر الطبيعـي ولـم تعـد "قميـرا" كمـا كانـت.

ثانيـاً: فـي لهجتنـا نبـدل القـاف بالجيـم طلبـاً لخفـة الـكلام، فنسـمي مثـلاً الطائـر "الجمـري" وأصلـه في اللغة "القمري" وهـو نـوع مـن الحمـام، ولهـذا قـرُب لـديَّ أن أصـل "جميـرا" هـو "قميـرا".

ثالثـاً: عندمـا تجمـع صوتـك فـي نطـق "قميـرا" و"جميـرا" فإنـك سـتجد التشـابه في الصـوت، وهـذا سيصحُّ لديك إن كنت من أهالي هذه المنطقة.

رابعـاً: هنـاك أسـرة عريقـة فـي البحريـن مـن الكـدادات بنـي هاجـر، يسـمون القمـارة ويسـكنون فـي حـي القمـرة أو القمـارة في منطقـة المحـرق، والنسـبة إليهـم كمـا في اللهجـة الدارجـة "الجميـري" بإبـدال القـاف جيمـاً، وهـو يـدل علـى حقيقـة الإبـدال المذكـور.

وأخيـراً أقـول: الاشـتقاق الأقـرب لاسـم منطقـة "جميـرا" هـو "قميـرا" للأسـباب المذكـورة، هـذا وسـتبقى "جميـرا" بـإذن الله مقمـرة مسـفرةً باسـمةً، فـي ظـل حكومـة دبـي الرشـيدة وحكامنـا الكـرام آل مكتـوم.

من سنابات جمال بن حويرب
Jamalbnhuwaireb

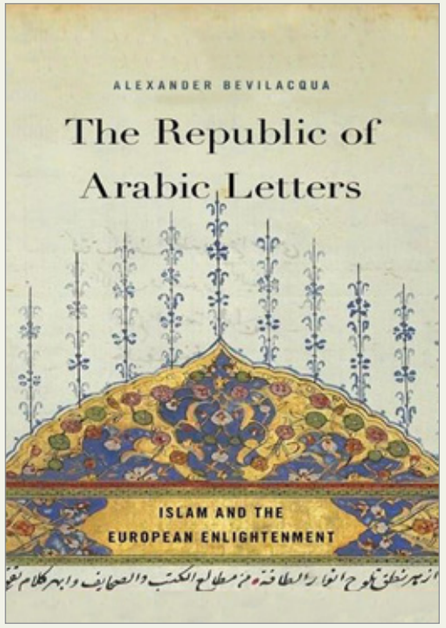

عنوان الكتاب: جمهورية الأحرف العربية: الإسلام والتنوير الأوروبي
المؤلـــف: ألكسندر بيفيلاكوا
تـاريخ النشـر: 23 فبراير 2018
النـاشـــر: بيلكناب (تابعة لدار نشر جامعة هارفارد)

وضعـت مجموعـة رائـدة مـن العلمـاء المسـيحيين فـي القرنيـن السـابع عشـر والثامـن عشـر أسـسَ الفهـم الغربـي الحديـث عـن الحضـارة الإسـلامية، فأنتـج هـؤلاء الرّجـال أوّل ترجمـة دقيقـة للقـرآن إلـى لغـة أوروبيـة، وحـدَّدوا فـروع الفنـون والعلـوم الإسـلامية، وكتبـوا التّاريـخ الإسـلامي باسـتخدام المصـادر العربيـة. ويأتـي كتـاب «جمهوريـة الأحـرف العربيـة» ليعيـد صياغـة هـذه العمليـة، ويكشـف تأثيـر المثقفيـن الكاثوليـك والبروتسـتانت فـي فهـم التنويـر العلمانـي للإسـلام وتقاليـده المكتوبـة.

واعتمـاداً علـى المصـادر العربيـة والإنجليزيـة والفرنسـية والألمانيـة والإيطاليـة واللاتينيـة، فـإنَّ التاريـخ الفكـري الغنـي، الـذي يقدمـه ألكسـندر بيفيلاكوا، يتعقَّـب المسـارات الذهنيـة والماديـة التـي اجتازهـا الباحثـون المسـيحيون للحصـول علـى المخطوطـات العربيـة ودراسـتها وفهمهـا، وكانـت المعرفـة التـي قدموهـا مَدينـة بعمـق للتقاليـد الإسـلامية الأصيلـة ففـي نهايـة المطـاف وصلـت الترجمـات والمجموعـات والسـجلات التاريخيـة التـي أنتجوهـا إلـى شـخصيات مثـل فولتيـر، وإدوارد جيبـون اللذيـن لـم يكتفيـا فقـط باسـتيعاب المحتـوى الواقعـي لهـذه المصنفـات، بـل قامـا بحياكـة تفسـيرها ضمـن نسـيج الفكـر التنويـري.

يوضِّـح كتـاب «جمهوريـة الأحـرف العربيـة» أنَّ الجهـد الغربـي لفهـم الإسـلام وتقاليـده الدينيـة والفكريـة لا يصـدر مـن أجنـدة علمانيـة، بـل مـن التزامـات علميـة لمجموعـة مختـارة مـن المسـيحيين، فقـد وضـع هـؤلاء المؤلفـون وجهـات النظـر الموروثـة جانبـاً، وقدَّمـوا للغـرب الحديـث فهمـاً جديـداً للإسـلام.

المؤلف في سطور:

يعمـل المؤلـف ألكسـندر بيفيلاكـوا أسـتاذاً مسـاعداً فـي قسـم التاريـخ بكليـة ويليامـز، وهـي كليـة للفنـون الحـرة في مدينـة ويليامسـتون بمقاطعـة ماساتشوسـتس الأميركيـة وهـو متخصِّـصٌ فـي التاريـخ الثقافـي والفكـري لبدايـات أوروبـا الحديثـة (1450 إلـى 1800) وتتنـاول أبحاثـه الفهـم الغربـي للتنـوع البشـري والتقاليـد الدينيـة والفكريـة غيـر العربيـة. ويقـدم بيفيلاكـوا دورات حـول تاريـخ أوروبـا مـن عصـر النهضـة إلـى عصـر التنويـر، وعلـى وجـه الخصـوص حـول التحـولات الثقافيـة والفكريـة لمـا كان يسـمَّى فـي كثيـر مـن الأحيـان بالعصـر العالمـي الأول.

Jumeirah .. And its Connotations

A certain wonderful scene remains prevalent in the immortal images of my memory, yet its reality is no longer there, and now as change has conquered every single detail of our beautiful region, it won't return again. It is the picture of Jumeirah; a beautiful region that has totally changed and turned into a tourist and commercial destination. Previously, it has been the place for gracious long-standing families, and a vital place for fishing sardines known in the UAE as the "Ouma".

It is a picture I cannot forget, and my memory recalls its beautiful details: the enchanting sea plays an oriental melody that attracts people around it, its wonderful shore puts its shells on my ears to hear its words, the rain falls softly, and the sun shines behind the clouds, the branches of palm trees dance joyfully, and the hustle and bustle of children running everywhere.

One day, I returned home and saw my mother. My clothes were drenched by rain, and I was carrying a sea bird called "Harisha", that I caught using primitive handmade by myself. I asked my mother about the meaning of "Jumeirah". "How should I know? But they say that the sand in Jumeirah is hot as "Jamr" (Arabic world for ember) in summer, that's why our people call it Jumeirah", replied my mother.

My grandmother, who was listening to this interpretation said: "Oh boy, these names were inherited by people in ancient times, so do not worry about them". "You should tell me more", I replied to my grandmother.

"They say the sand in Jumeirah is extremely white and it shines like "Qamar" moon at night, and there is no such a nearby place like this, which makes it a landmark for sailors. That is why it was named "Jumeirah", explained my grandmother.

I heard what my mother told me, and what my grandmother said about the secret of naming our beautiful region "Jumeirah", but I was not convinced of their interpretations.

Since I was a child, I liked knowledge and used to inquire about everything I do not know. Ever since, I didn't hesitate to question about the reason of naming "Jumeirah" whenever I come across an old man, an old woman, and a trusted narrator.

But it is strange that all the answers were similar to the previous two interpretations, it is either named "Jumeirah" derived from "Jamr" which means "embers" for the heat of its sand, or "Qamara" (feminine adjective of moon in Arabic) due to its extremely white sand which shines like the moon for sailors. Thus, I will try to correct one of these interpretation.

Let us discuss the first interpretation, whether the name "Jumeirah" is derived from the "ember" because of the heat of the sand, according to the presumption of many elderly people with whom I have met. We say: this interpretation may be true because of the similarity of the letters and the geology of the region, but this interpretation isn't sufficiently substantiated to the following factors:

First, all the desert sand is hot in summer time, in Jumeirah and everywhere else in Dubai or any other desert land. Why the Jumeirah area was named "Jumeirah" other than the rest of scorching hot desert areas?

Secondly: In our dialect, we do not call an ember "Jamrah", but rather we replace the letter "J" with "Y", so we pronounce the word "Jamrah" "Yamrah". If "Jumeirah" was derived from "Jamr" resembling the heat of "embers", it would have been called "Yumeirah". For instance, we pronounce "Jamal" (camel in Arabic) "Yamal", and "Jabal" (mountain) becomes "Yabal" and so on. This is quite familiar in our dialect and in the dialect of some people of Bahrain and Kuwait and other people of the Arabian Gulf.

Therefore, this interpretation is far from the more likely interpretation that we examine.

The second interpretation says "Jumeirah" is derived from "Qamara" due to the extremely white sand that shines to people coming from the sea. This derivation is very reasonable and affirms the opinion of past narrators. It could be true for the following reasons:

First: the white natural sand of "Jumeirah" shines at night like the moonlit night. In Arabic we say: "Muqmerah, Qamraa and Qamara" (adjectives meaning moonlit when describing 'night'). "Qamara" is associated with excessive brightness. Historically, the shore of "Jumeirah" was famous for its brightness, before replacing the old sand with new one from other lands. Thus, the natural charming shore vanished, and "Qumeirah" is no longer the same.

Secondly: In our dialect we replace "Q" sound with "J" to make pronunciation easier. For example, we say "Jamry" instead of "Qamry" (a kind of pigeon). Consequently, the origin of "Jumeirah" derives from "Qumeirah".

Thirdly: When you try to pronounce "Jumeirah" and "Qumeirah", especially if you are originally from this region, you will find the similarity in the sound.

Fourthly: There is a deep-rooted family in Bahrain - Bani Hajar - of "Kadadat", who are called "Al Qamara", and who live in "Qamara" neighborhood in the Muharraq area. In their dialect, they are called "Al Jamri" instead of "Al Qamri", which asserts the above mentioned replacement.

In summary, I say: The closest derivation of the name "Jumeirah" comes from "Qumeirah" for the reasons mentioned above. God willing, "Jumeirah" will remain shining and prosperous under the wise government of Dubai and our esteemed rulers, Al Maktoum family.

From Snapchat of
Jamal bin Huwaireb
Jamalbnhuwaireb

Rare Old Photos

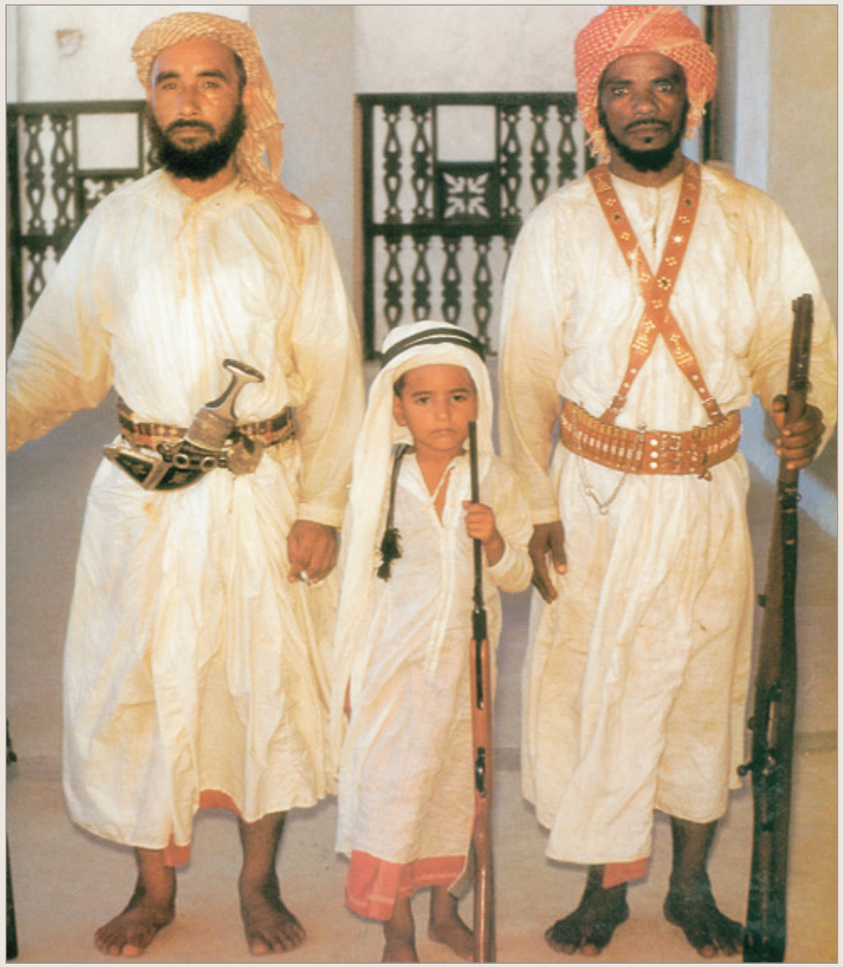

A picture taken in 1953 featuring His Highness Sheikh Hamad bin Mohammed Al Sharqi with two of his entourage. H.H Sheikh Hamad, the current ruler of Fujairah, assumed power in 1974. Sheikh Hamad appears in the picture carrying an air gun gifted to him by photographer Ronald Codrai.

A picture of the late Sheikh Mohammed bin Hamad Al Sharqi, born 1908, ruler of Fujairah since 1938 until he passed away on 1974. The photo is taken in the majlis of photographer Ronald Codrai's house in Dubai. Codrai visited Sheikh Al Sharqi on the occasion of signing the oil exploration rights agreement.

Ronald Codrai with Sheikh Ahmed bin Rashid Al-Mualla, born in 1908, ruler of Umm Al Quwain since 1929 until he passed away in 1981.

A picture of Sheikh Mohammed bin Hamad Al Sharqi with some tribesmen; Fujairah was the homeland of many tribes where Al Sharqi as a ruler was responsible for ensuring peace and harmony among tribes.

A Portrait of Zayed through the Lens of Media

Ali Obaid Al Hamli*

Zayed, may God have mercy on him, focused on developing media since the early days of his rule of Abu Dhabi. Also, media members were very interested in Zayed seeking to interview him. The impressions of the journalists who had interviews and conversations with the late Sheikh Zayed in the second half of the sixties, reflect the greatness of this exceptional leader and express their admiration for him.

Let us, for instance, go through the testimony of the Indian journalist Kranjia, owner and founder of the Indian magazine Blitz, who conducted an interview -published in June 1970 - with the late Sheikh Zayed may his soul rest in peace. "None of the outstanding figures, who emerged in the era of the great renaissance the Gulf states started to witness after the discovery of oil, can be compared to Sheikh Zayed bin Sultan, the ruler of Abu Dhabi, in terms of the elements of his inspirational leadership, his political and economic theories he wished to apply in the region, and his various achievements that took place in a very short time. The ruler of Abu Dhabi embodies the resounding revival of this region, so much so that I could not resist talking to him all night long until dawn during the dinner banquet at his modest house on the occasion of my visit to the Emirate", says Kranjia about Sheikh Zayed, may his soul rest in peace.

Just as Kranjia sought to conduct an interview with the late Sheikh Zayed in the early days of his rule of Abu Dhabi, many journalists of Arab and foreign media sought to meet him as well to conduct press, radio, television interviews. The change that took place in Abu Dhabi under the leadership of Sheikh Zayed and his assumption of power was striking, which stimulated the curious press and media that were monitoring the situation of the region remotely.

There was no media in the UAE at that stage to reflect what was going on, or to cover the news overseas, except a single radio station set up by the Development Office of the Trucial States Council and a single magazine published in Dubai by the Dubai Municipality Public Library. We will come back to them when we shed light on the emergence of the UAE media and its establishment by Sheikh Zayed. Therefore, we will find many press, radio and television interviews with Sheikh Zayed published by Arab and foreign newspapers and magazines. At that stage, when Sheikh Zayed assumed power, the region witnessed the dawn of a new era attracting media members who came to learn more about the thought of this Bedouin man, his future vision, and the plans he has for his people and his Emirate. Those media members discovered that Zayed's future plans were not limited to his Emirate only, but he had ambitions for all the Emirates, which were then called the Trucial Coast, or Trucial States.

With his genuine believe in Arabic unity, Zayed had ambitious plans for the UAE, the Gulf region and the entire Arab nation. At that stage, with limited resources yet unlimited resourcefulness and ambitions, Zayed was able to accomplish the dream he had since he was in Al Ain. A dream that came true with the establishment of the United Arab Emirates. This was his first dream but not the ultimate one. Afterwards, he sought to establish the Gulf Cooperation Council and succeeded in announcing the establishment of the GCC from the UAE capital- Abu Dhabi- ten years after the founding of the UAE. After that, he sought to unify the Arab nation and resolve the dispute of its countries. He has achieved many successes, but many circumstances prevented him from achieving his endeavors. However, he didn't give up until he passed away carrying the concerns of his nation.

Zayed, may his soul rest in peace, touched on many different issues in his early conversations and interviews; foremost among them were his endeavors to establish the United Arab Emirates, his keenness and his work to build the nation, his view of wealth and how to exploit it, and the idea of Arab unity, which was a permanent concern of his.

His philosophy of governance and life also appeared in those conversations. Power, according to Zayed, is not an end, but a means of serving people and bringing prosperity to them. To him, national interests are responsibilities placed on him that he should preserve honestly and fairly. Rather, Zayed believes the function of a ruler is to govern his people providing them with means of prosperity and progress. And for this purpose, a ruler must live among his people to feel their requirements, and know their problems. A ruler would not achieve this if he isolated himself from his people.

Zayed believes in freedom and defines it as a basic goal that humans seek and cannot live without. He also believes in preventing monopoly of power and distributing responsibilities, taking into account the good selection of assistants, and observing their performance to ensure that they are doing their duty in the best way. His national concerns equal his local ones in magnitude and weight, and he thinks that God created people to live with each other, regardless of their status in life.

Zayed was a dreamer, but the difference between him and the rest of the dreamers was that he managed to turn dreams into facts. He had a stunning ability to win friends, double their numbers, and turn opponents into friends. Zayed had an extraordinary ability of taking the initiative to change the course of history; not waiting for what the days unfold, and looking for another way to deal with it. He had a combination of ideals and practical achievements, in addition to a clear vision that led to the consistency of his view, consequently treating all matters, issues and problems with wisdom and insight. Moreover, he didn't show reservation to talk about any subject he is well aware of. He does not like political maneuvering, for him, politics are the practical application of the principle he preaches, and any dissociation between words and deeds is nothing but deceit, lies and hypocrisy. Zayed was spontaneous and modest and his spontaneity was evident in all his meetings.

This is the portrayal of the late Sheikh Zayed, in the eyes of the media and through the eyes of media men. Zayed was a great and unparalleled leader, may his soul rest in peace.

*An Author from the UAE

A different picture is drawn by researchers and travellers including Nāsir Khusraw

been renowned for flourishing sciences and throngs of men used to travel to Najd in pursuit of acquiring science. Some towns became famous for being centers of scientific knowledge such as Ushaiger where many jurists dwelt. It is said at one time forty jurists would meet to discuss matters pertinent to jurisprudence and that all were qualified to be judges in a time when the judiciary was the domain of highly knowledgeable and educated men only.

Scholars dwelt in Al-'Uyayna town and their numbers increased there and storytellers said that eighty of them would meet at any one time to study and discuss religious matters in the mosques of the town.

Aspects of science were also prominent in the spread of libraries and endowments. Those who studiously follow the biographies of scholars in the period of time we are talking about realize that there were families whose sons successively devoted themselves to scholarly objectives and inherited interest in knowledge. They were committed to acquiring and preserving scientific knowledge in spite of the hardships associated with this kind of interest such as the scarcity of paper, ink and pens. This notwithstanding, the author mentions scribing more than 28 books at that time although the scholars were disinterested in recoding their scholarly input. Most of these books were in jurisprudence. The fact that endowments were popular and widespread reflects the picture of the socio-economic status.

Fortresses and Castles

The author gives considerable space to different types of fortresses in Najd 250 years ago. These fortresses took in some cases the shape of walls to protect towns and villages, as well as trenches behind the walls and isolated rooms behind the walls of farms, in the corners of palaces and behind portals of towns. All these were defensive tactical measures, which were quite novel to the sons of the desert. They benefited from the experiences of other nations in the times of Islamic conquests and employed them to protect themselves and properties in the places where they lived and at their centers of urbanization. In the 11th Hijri century in 'Alia in Najd there was a palace owned by 'Ajl bin Hunaitem the Sheikh of Al Mugairah family. These folk wielded power in the region and Arabs used to dwell temporarily near the palace and take refuge in it. Also, there were fortified palaces in the town of Jolajil in Sudair area. In his description of the terrain of the Arabian Peninsula, al-Hamadāni mentioned towns with great walls in addition to more than forty fortresses; there are also references to some fortresses and citadels in Al Jawf area.

Najd Industries

Industry was famous as a part of the development of towns owing to the stability of Najd. Vocations included carpentry, blacksmithing, pottery and bronze vocations and some people became professed as goldsmiths and silversmiths. In his description of the Arabian Peninsula, al-Hamadāni (280-334 AH) mentions places renowned for mining, which were in the region of 22 locations. Most of the mining locations were in Al-Yamamah (the present day Riyadh area); these locations were dwelt by tribes renowned for professing in industry such as Bahala, Bani Asad and Bani Salim. Thuramda in particular and Al Washam in general were famous for textiles and produced high quality textiles so in excess of local use to be exported.

By way of concluding this review of Najd 250 Year Ago, the book studies aspects pertinent to scholarly studies, culture and urbanization in Najd during a specific historical epoch, which history reference books address with very little detail and much ambiguity. The book uncovers the particulars of this epoch by resorting to manuscripts, narrations and some books that have shed light on this epoch.

Book Title: The Republic of Arabic Letters: Islam and the European Enlightenment
Author: Alexander Bevilacqua
Published: February 23, 2018
Publisher: Belknap Press: An Imprint of Harvard University Press

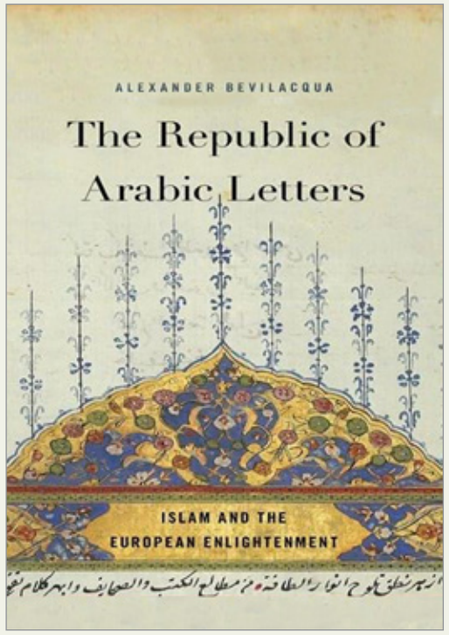

In the seventeenth and eighteenth centuries, a pioneering community of Christian scholars laid the groundwork for the modern Western understanding of Islamic civilization. These men produced the first accurate translation of the Qur'an into a European language, mapped the branches of the Islamic arts and sciences, and wrote Muslim history using Arabic sources. The Republic of Arabic Letters reconstructs this process, revealing the influence of Catholic and Protestant intellectuals on the secular Enlightenment understanding of Islam and its written traditions.

Drawing on Arabic, English, French, German, Italian, and Latin sources, Alexander Bevilacqua's rich intellectual history retraces the routes—both mental and physical—that Christian scholars traveled to acquire, study, and comprehend Arabic manuscripts. The knowledge they generated was deeply indebted to native Muslim traditions, especially Ottoman ones. Eventually the translations, compilations, and histories they produced reached such luminaries as Voltaire and Edward Gibbon, who not only assimilated the factual content of these works but wove their interpretations into the fabric of Enlightenment thought.

The Republic of Arabic Letters shows that the Western effort to learn about Islam and its religious and intellectual traditions issued not from a secular agenda but from the scholarly commitments of a select group of Christians. These authors cast aside inherited views and bequeathed a new understanding of Islam to the modern West.

About the Author

Alexander Bevilacqua, Assistant Professor of History at Williams College, specializes in the cultural and intellectual history of early modern Europe (ca. 1450 to 1800).

His research examines Western understandings of human diversity and of non-Western religious and intellectual traditions. He offers courses on the history of Europe from Renaissance to Enlightenment, and in particular on the cultural and intellectual transformations of what has often been called the first global era.

Najd 250 Years Ago

Prosperity that refutes views of a dusky epoch as perceived of by scholars

Whenever Najd is mentioned, images of the aesthetics associated with this geographical region in the poetic heritage of Arabs are conjured up in one's mind. The richness of this environ derives in no small measure from its legacy and tales, which have constituted an extensive domain of the heritage of the Arabian peninsula, handed down from generation to generation via narratives and chronicles. In his book titled Najd 250 Years Ago, Dr. Mohammed bin Sa'ad Al Shuwai'r opens a window on the scientific, cultural, social and political life in Najd two centuries ago. He sheds light on an epoch shrouded in dimness for the lack of sources that record events. However, Najd was not entirely distanced from prosperity and civilization.

This book was published in its first edition by Dar al-Nakheel in Riyadh in 1992. The book consists of 142 pages of medium size paper. Through the book the author delves into aspects of civilization in this region, employing an overview of archaeological landmarks such as castles, fortresses, buildings and architectural arts, in addition to reviewing researches, scientific achievements, authorship, scholars and the flourishing of libraries in Najd and its endowments.

A Historical Gap

On one the occasion, the author said that the book is a composite of chosen facts to refute the views of those who maintained that the region was far removed from civilization, a desolate place only travelled through by Bedouins seeking grass and pastures. If fact, there was chasm between the Abbasid Caliphate and the ascension of the first Saudi state in 1158 AH. This historical gap made the Arab Peninsula in general and Najd in particular live through a murky historical epoch in view of historians owing to weak sources of chronicles.

During the Qarmatians' rule (317-470 AH), as evidenced by books of history, a thick curtain was drawn on the region and historical information about the region dried up owing to the policies of the Qarmatian state. Only scanty information was exchanged among storytellers who lived in distant places.

This has led some researchers, mostly westerners, to link life in the region to poverty and link its natives to internecine warring for the slightest of reasons. The author maintains the view that these judgments must not be capitulated to for the sheer reason that they have been popularized and that they should not pass unchallenged. The author also levels charges against the traveler Nāsir Khusraw accusing him of relaying the same story. Khusraw started a journey after finishing Haj rites in 442 AH and travelled across the region visiting many parts of Najd region; but he only spoke of the region very briefly.

City Building

The author maintains that Najd in general witnessed an activity of building and populating towns and villages in the period between the 18th century until the inception of the Da'wah of Mohammed bin Abdul Wahab and its unison with the Al Saud in the hands of Imam Mohammed bin Saud. This resulted in laying down the foundations of an organized state. The author then goes on to say that the region was not devoid of historical events and constituents of civilization because both were palpably present.

His scrutiny of historical facts made him conclude that the region of Al-Yamamah and Riyadh and its surroundings in particular, as well as the region of Najd in general, started to prosper all over again and cultivate stability after its isolation because of the unfavorable circumstances that surrounded it for a long period of time, as well as its remoteness from the center of the Caliphate. Sadous, which lies near Riyadh, was mentioned in many historical reference books because of its

Scholars have tackled this epoch with insufficient scrutiny, which was clouded by much ambiguity

nascent industry and its abundant agricultural wealth. This is attested to by the writings of Yâqût al-Hamawî (574-626 AH).

One of the cities referred by Yâqût al-Hamawî is Diriyah, which he visited when it hosted four hundred scholars, who were all affiliated to the judiciary. Civilization is only preserved by educated men; it adjusts itself to the realities of living and social stability. Hence the desire to obtain properties and move from one place to another only thrived after life-sustaining factors became abundant. It goes without saying that the availability of drinking water is the very essence of life. Financial affluence was the driving factor behind the desire of people to engage in agriculture and city building. In 770 AH the city of Harma was built very near to Al Majma'ah. Harma was built by Ibrahim bin Hussein bin Mudlij Al Waeli, who introduced agriculture and dwelt in Harma with many of his relatives and followers.

In 820 AH Al Majma'ah was erected by its first dweller-Abdullah Al Shamri and then people started to come to it in increasing numbers. Abdullah Al Shamri encouraged newcomers to live near him by allocating them pieces of land and belongings. This led to a strong beginning and to the spread of knowledge and the appearance of pioneers in the realm of science.

The history of Riyadh, as narrated by Sheikh Ahmed Al Jasir, abounds with facts that evidence the availability of manpower and a base of civilization. Sheikh Ahmed Al Jasir spoke of 'Hajar Al-Yamamah', which comprised several quarters and gradually dwellings sprang in scattered places and developed into multiplying villages.

In addition to the town of Al Tuwaim and Al Washam region, the author mentions what al-Zabīdī says in Tāj al-'Arūs in his quote of Yâqût al-Hamawî (574-626 AH) of a Bedouin from that region: "Al Washam comprises five villages and is surrounded by a wall built of mud and the villagers cultivate different plants and dates. The most populated village in Al Washam was Thurmada".

Some geographical dictionaries mention two large towns in Al-Qassim region at great length and refer to the stage the two towns had attained to in terms of civilization and science.

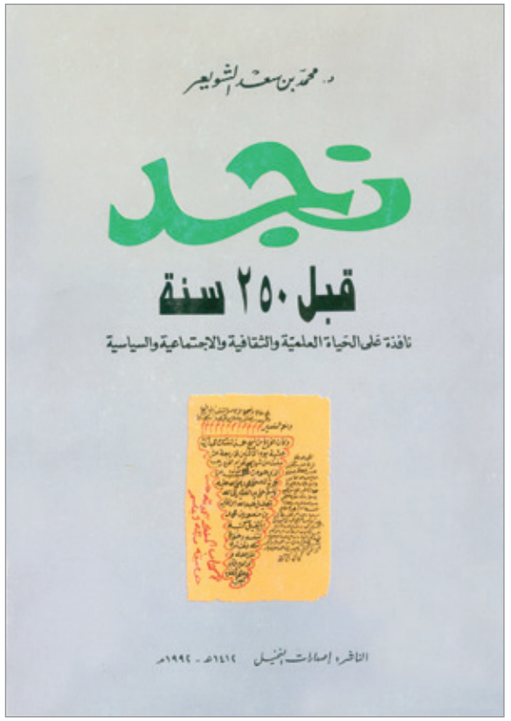

These two towns are Unaizah and Buraydah. These geographical dictionaries also mention the channels of Huraymila and its captivating gorges.

Science and Scientists

The book also explains that with the construction and population of cities and towns occasioned attracting effects and propelled people towards changing their lifestyles and opting for stability instead of constant movement. This had tangible effects because as the human soul and thought calm down they gravitate towards another action- that of increasing science and searching for knowledge. Researchers record information of whole families in Najd that could be regarded as sources of science and pools of knowledge. Najd has

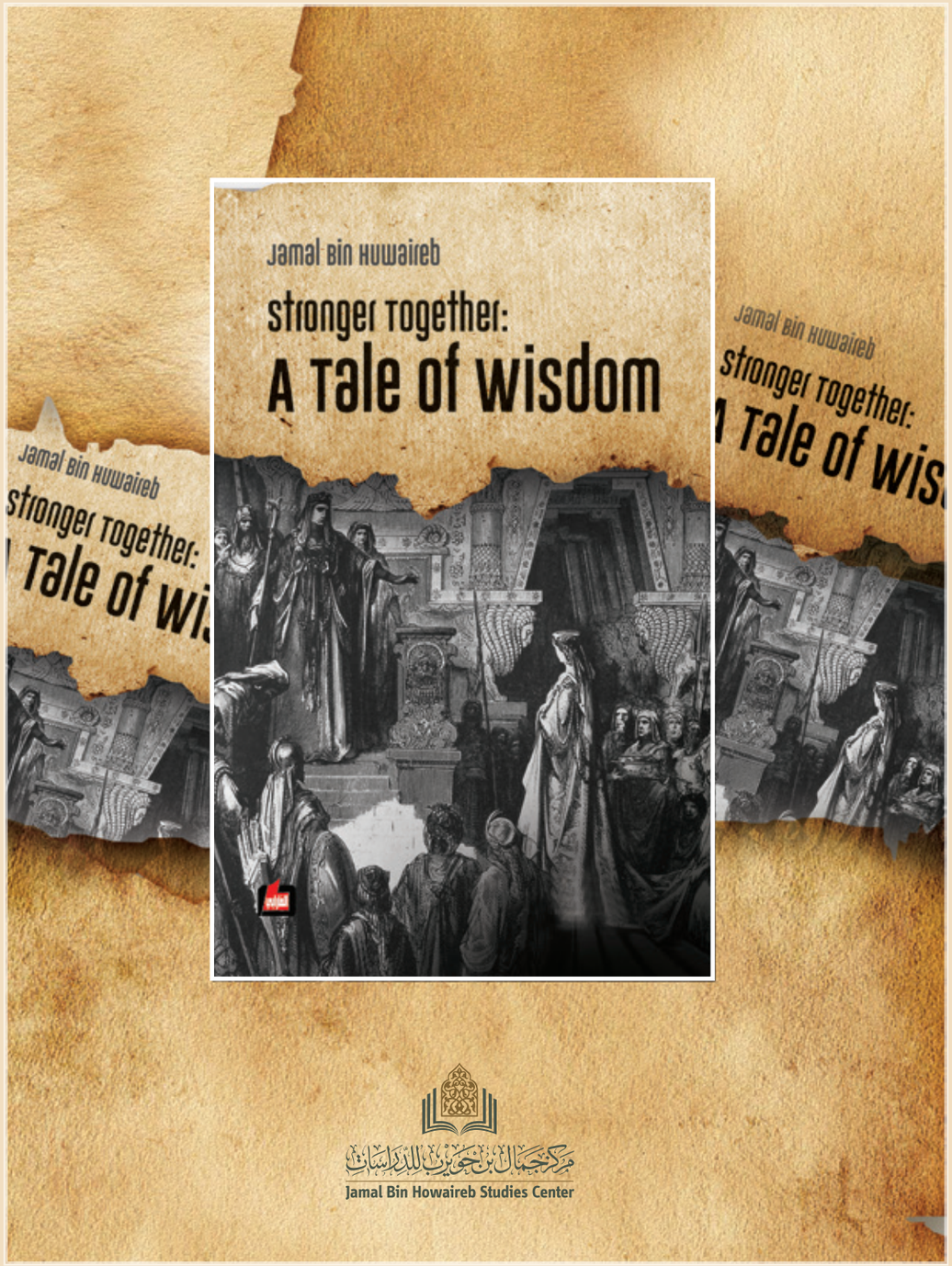

Foreword

Jamal Bin Huwaireb
Chief Editor

Who Writes History? Is our History Fabricated?

Some people say "History is written by the victors". It is a fact that we cannot ignore, but does it mean that the victors lie, exaggerate or distort historical facts because they have won and spread their power by taking lands.

History is not limited to wars and conquering countries where it gets written by the victors only. Unless they were totally exterminated, which rarely happens, historians and poets of those who were defeated in these battles and lost their influence, can write down other facts that can be neglected, reduced or distorted by the victors.

History may be written by the defeated, especially if the victor descended from illiterate nation, as in the case of illiterate and pagan Anglo-Saxon who expelled the Romans from Britain and Western Europe. The Romans were civilized and used to write down their history, and today the only available information about Anglo-Saxon comes from the writing of their enemies - the Romans.

Hence, the statement "history is written by the victors" may be interpreted in another way that the victors record their history and keep their achievements, so it may mean that they are the ones who build civilization and attain achievements at the expense of defeated.

Today, some youngsters argue that our Islamic history has been distorted and fabricated over the centuries to please the caliphs, princes and influential people of the past ages. I reply: "what are your substantiations? Provide your evidence". Their reply would be "history is written by the victors". To them I would repeat the above-mentioned argument. They would say: "Those historians did not rely on the correct scientific rules in the origins of research adopted by universities today". I would reply: "The modern rules of science were taken from the first pioneers in science of Impugnment and Validation, transfer of news and critique of science. After that they were forged in new molds to arbitrate history again".

Our great scholars have conveyed our Islamic history honestly through serial ascription, as did Al-Tabari in his book "History of Al-Tabari", in which he renounces lies and shows accuracy in transferring history. Al-Tabari, in the preface of this great book, teaches us and explains how history should be transferred by saying: "For no knowledge of the history of men of the past and of recent men and events is attainable by those who were not able to observe them and did not live in their time, except through information and transmission provided by informants and transmitters. This knowledge cannot be brought out by reason or produced by internal thought processes. This book of mine may (be found to) contain some information, mentioned by us on the authority of certain men of the past, which the reader may disapprove of and the listener may find detestable, because he can find nothing sound and no real meaning in it. In such cases, he should know that it is not our fault that such information comes to him, but the fault of someone who transmitted it to us. We have merely reported it as it was reported to us".

This is the achievement of our historian scientists, and we are required to research it and use modern scientific rules to examine it. We should not destroy it or accuse our early historians, may God have mercy on them.

jamal@jbhsc.ae

مركز جمال بن حويرب للدراسات

Jamal Bin Howaireb Studies Center

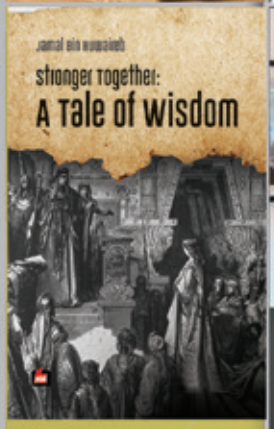

- **أهدافنـا:**

خدمة الباحثين في
التراث والتاريخ واللغة العربية
والتوثيـق والنشـر والتدريب

- **خدمات المركز:**
  - الاستشارات الثقافية والتدريب
  - معـارض ومؤتمرات
  - البحث والنشـر
  - مجالـس علمية متنوعة
  - مكتبة عامة تشمل أهم ونوادر كتب الأدب والتاريخ والتراث
  - اسـتضافة كبـار الأدبـاء والمفكريـن
  - مكتبـة إلكترونيـة
  - مجلـة المركـز «مـدارات ونقـوش»

www.jbhsc.ae
info@jbhsc.ae
Twitter:Jbhscae
Instagram:Jbhscae
YouTube:Jbhscae
Facebook:Jbhsc AE

للتواصل
هـاتـف
0097143940309